بسم الله الرحمن الرحيم

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

المجلد ٦٢

# البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

February 2017 — فبراير ٢٠١٧م

العدد التاسع - المجلد الثاني والستون – جمادى الأولى ١٤٣٨هـ

## ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع،وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد ، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

الإمام العلامة الشيخ السيد ابوالحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

أنشأها

فقيد الدعوة الإسلامية

الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى

في عام:١٣٧٥هـ -١٩٥٥م

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

مساعدا التحرير:

محمد فرمان الندوي

محمد عبد الله الندوي

المراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند) الفاكس: ٢٧٤١٢٢١-٢٧٤١٢٣١ – ٠٥٢٢

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Taigor Marg, Lucknow. Pin:226007 U. P. (India) Fax: 0522-2741221,2741231

Mob: 9889336348 Email: albaas1955@gmail.com

# محتويات العدد

العدد التاسع -المجلد الثاني والستون – جمادى الأولى ١٤٣٨هـ - فبراير ٢٠١٧م


❖ الافتتاحية :

هل نحن على أبواب حرب عالمية ثالثة ؟! — سعيد الأعظمي الندوي — ٣

❖ التوجيه الإسلامي :

القرآن الحميد والصحف السماوية القديمة — سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن الحسني الندوي — ٧

جوانب بلاغية في سورة البقرة — د/ راشد عبدالله الفرحان — ١٣

❖ الدعوة الإسلامية :

نظرية التسامح في الإسلام — الشيخ الطاهر بدوي الجزائري — ٢٢

القيم الإنسانية في القرآن الكريم — الدكتور محمد فضل الله شريف — ٣٣

الفوائد الصحية للوضوء في الإسلام — د/ يوسف محمد الندوي — ٣٩

❖ الفقه الإسلامي :

شبهات حول التمذهب الفقهي دراسة تطبيقية — الدكتور عبد الإله بن حسين العرفج — ٤٨

❖ دراسات وأبحاث أدبية وتاريخية :

المدينة المنورة — العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي — ٥٧

إطلاق كلمة " المفيد " في مصطلح الحديث — الأستاذ أبو أنس رفيع الله المَرْوَتي — ٦٤

الرواية العربية تحت ظل الحضارة الغربية — الدكتور شهنواز أحمد — ٧٣

نبذة عن مساهمة الهنود في النثر العربي في القرن العشرين — الباحث حفظ الرحمن السنابلي — ٨٣

دور الشيخ القاضي مجاهد الإسلام القاسمي في إنشاء ..... — الأستاذ آفتاب احمد — ٨٨

❖ صور وأوضاع :

الإسلام والاشتراكية — الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي — ٩٦

❖ إلى رحمة الله تعالى :

( ١ ) فضيلة الشيخ المحدث عبد الحق الأعظمي في ذمة الله تعالى — قلم التحرير — ٩٩

( ٢ ) الدكتور محمد محسن شمسي إلى رحمة الله تعالى — " " " — ٩٩

( ٣ ) حرم فضيلة الشيخ أبي البقاء إلى رحمة الله تعالى — " " " — ١٠٠

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

# هل نحن على أبواب حرب عالمية ثالثة ؟!

يبدو أن أسواق التجارة العالمية تزدهر اليوم ، أكثر من أي فترة تاريخية في مجال التصنيع الإبداعي ، فقد تفننت المصانع الكبرى في إنتاج أسلحة وآليات لم يسبق لها نظير في الحربين العالميتين الكبيرتين اللتين شهدهما العالم البشري بين فترتين من القرن المنصرم ( ١٩١٨ – ١٩١٤ و ١٩٤٤ – ١٩٣٩م ) ، ولعل منظمي هذا المخطط السرّي – باسم التطور الحضاري – ينفذونه في مراحل مختلفة لبسط نفوذهم بالسيطرة الكاملة على بلدان العالم الإسلامي ذات التاريخ المشرق في العهد الإسلامي الزاهر ، وخاصة على العراق وسوريا واليمن والجزيرة العربية التي فيها الحرمان الشريفان ومصر والسودان وليبيا والمغرب وتونس ، إن هذا التخطيط يبلغ من الخطورة إلى ما ليس في تصور كثير من عقلاء العالم البارعين في مجالات السياسة العالمية .

وقد أفادت بعض وكالات الأنباء العالمية عن كشف تقريرٍ سرّي مسربٍ من معلومات استخبارية سرّية كذلك ، أن هناك تخطيطاً دولياً عميقاً ذا خطورة عظيمة ضد الدول العربية ، ومؤامرة كبيرة على المملكة العربية السعودية خاصة بواسطة العمليات التهجيرية الجارية المستمرة في حلب وسوريا ، ومعلوم أن تهجير نصف سكان سوريا تم في مدة ليست طويلة ، ويُرجى أن النصف الباقي سيتم تهجيره وطرده من هذا الوطن الإسلامي خلال مدة قصيرة ، ذاك أن زعماء الوطن الإسلامي لم تعد لهم سلطة إزاء الاتفاق السري الذي تحقق بين الدول الكبرى من أمريكا وروسيا ومعهما إيران وإسرائيل والدول الغربية الأخرى التي هي واقفة بالمرصاد للسيطرة الكاملة على أهم استراتجية المضايق والممرات المائية ، ذلك كمضيق هرمز وباب المندب وقناة السويس مع التحكم بالملاحة البحرية في الخليج العربي وبحر العرب والبحر الأحمر ، ولعل حلم الغرب يتحقق بذلك في إقامة دولة اليهود والصهيون في إسرائيل وتوسعة نطاقها إلى آخر ما يمكن من الفرات إلى النيل ، وبضم أجزاء كبيرة من سوريا ولبنان إلى إسرائيل ، ومع ذلك تصبح إسرائيل قوة كبرى لا تقهر – كما يزعمون – .

إن " عمالقة الغرب " هؤلاء يزعمون كذلك أن جزيرة العرب سوف توزع إلى دويلات صغيرة تابعة لإيران مقابل صفقات تم الاتفاق عليها ، وما هي إلا صفة تقاسم ثروات النفط والغاز والمعادن التي تتوافر في الجزيرة العربية ، بين روسيا وإسرائيل وبريطانيا وفرنسا ، كل حسب تقسيمه المئوي ، فمثلاً ٣٠٪ روسيا ، و ٢٠٪ بريطانيا ، و ٣٠٪ أمريكا و ٢٠٪ إسرائيل وإيران ، وهكذا يمكنهم نهب ثروات العالم العربي والجزيرة العربية حتى يتحول أهلها فقراء ، يمدوا أيديهم سائلين ما يرمونه إليهم من كسرات خبز – لا قدر الله تعالى – ، وذلك بإثارة طبقة من سكان العالم العربي على حكامه ومتولي أموره ، إذ من المعلوم أن عدداً ممن أعطوا سعة من المال والحصانة وأن لفيفاً من الأقرباء والأصدقاء يريدون الاستغناء عن قانون البلاد ، أما التجار الكبار فهم يرتبطون قانوناً بالحكم ويوالونه ، وكذلك الشعب والجماهير فهم في رعاية الحكومة موالين لها ومحبين لحكامها والحكومات كلها في الأراضي والدول العربية في غاية من الإخلاص ومشغولة بأداء واجبها ، وقد شغلتها المجموعات الاتحادية الغربية بثورات ومعارك أوجدتها تارة ضد الحدود ، وتارة أخرى بالاستيلاء على خيراتها ، ووضع الحصار المزعوم على قدراتها واقتصادها .

وقد استهدف الغرب وموالية من دول العالم المملكة العربية السعودية للاستيلاء على منابع ثرواتها من البترول والغاز والمعادن مع تجميد أموالها المودعة في بنوك العالم وهي تزمع الآن مصادرتها بما في ذلك أموال المؤسسات والشركات الخاصة والعامة ، وأموال الملوك والأغنياء والتجار المسلمين ، مبررين هذه المصادرات والتجميدات لكي يتمكنوا من سدّ جميع المنافذ التي يجد منها المتطرفون والإرهابيون سبيلاً لدعم ( داعش ) ، ذاك أنهم إنما يؤكدون للعالم كله بأن الإرهاب يأتي من بلاد المسلمين ، وتنظيم داعش ليس إلا جماعة من المسلمين ، رغم أن هذا التنظيم المشئوم ليس إلا وليدة الدول المادية كلها ؛ فاجأت العراق وسوريا واليمن وليبيا وحتى المملكة العربية السعودية ، لمجرد قتل المسلمين ومن على شاكلتهم ، وتدمير طاقاتهم من كل نوع ، وإلا فمن أين ملكت برامجها الخطيرة آباراً من البترول وأموالاً طائلة لا يأتي عليها الحصر ، وكمية كبيرة من الأسلحة والصواريخ ذات الفاعلية السريعة ،

ثم من أين تيسر له عدد هائل من الجنود البارعين في السيطرة على المدن الكبرى وأراضي المسلمين ، وكيف تملك هذا التنظيم مجموعة من الشُناق وقطاع الأعناق المعاصرين ، مما لا يخفى على من يتابع الأخبار الدولية التي تنشرها وكالات الأنباء العالمية .

وقد حاولت الدول الماكرة المنافقة في تهدئة أعصاب مسلمي العالم الذين يتصلون بالحرمين الشريفين إيمانياً وعاطفياً ، وطمأنة قلوبهم ، بالتظاهر – كذباً ورئاءً – بحبها العميق وبعلاقتها الوطيدة ببلاد الحرمين الشريفين ، وإن أهلها يتحدثون عن ولائهم وإخلاصهم بهما مؤكدين أن المملكة العربية السعودية جديرة بالتقدير الكامل بوجه دائم لأنها ملجأ العالم الإسلامي بكامله ، هذا في جانب ، وفي جانب آخر تدعم دول الصواريخ البالستية والقنابل الذرية الخطيرة بعض الدول التي تعادي الحرمين الشريفين والقائمين على صيانتها والخادمين لمقصادها حجيجاً ومعتمرين ، فإن لديها أسلحة فتاكة متطورة بما فيها أنواع الصواريخ والطائرات الحربية والمدافع والمدرعات والأساطيل البحرية والبوارج الحربية ، وما قصة اليمن ضد المملكة العزيزة بعزيزة ونادرة ، بل إنها مستمرة في طريق العدوان ، وهل يتناسى العالم إطلاق صاروخ من نوع البالستية نحو مكة المكرمة والكعبة المشرفة قبل مدة يسيرة ، ولو لا تمكن الجيش من تدمير ذلك قبل وصوله إلى الهدف ، لكان حدثاً عالمياً كبيراً اهتزت له الأرض .

هذا نموذج فقط للتصميمات والعمليات التي ترصد لتدمير العالم الإسلامي ، بدءاً من العراق والشام واليمن ، ولا تزال تمتد رقعتها بإعدادات ضخمة من توفير القوى والآليات المدمرة ، ولكن لا ، كحرب معلنة وقائمة ضد المقدسات الإسلامية والأمة المحمدية ، بل بأسلوب سياسي متعمق ، ومن وراء ستار العلاقات الدبلوماسية والمسالمات العقلية التي قلما يدرك كنهها الذين يقتنعون بظواهر الأمور ، ويعترفون بكل رحب أن الغرب جدير بالتقليد في التطور العلمي والمادي ، وقد يكزن هذا الاعتراف من باب التقدم الحضاري المادي مقبولاً إلى حد ، ولكن الخطر الخطير الذي يكمن وراء هذه الظاهرة ليس مما يُتغافل عنه أو يُعتبر أمراً عادياً ، إنما هناك مؤامرات في غاية من السرية للاستيلاء على بلاد الإسلام والمسلمين والسيطرة على الثروات الهائلة التي أكرمها الله بها ،

مع هدم شعائرها وتفنيد شريعة الله التي هي الأساس الوحيد لصرح الإسلام ، وإحباط أوامر الدين وتعاليم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، والتي هي البنية التحتية لحضارة الإسلام الخالدة الباقية إلى يوم الدين من غير نقص أو زيادة " ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلإِسْلاَمَ دِينًا " .

للقضاء على هذا الدين واستئصاله من القلوب ومركزه الأصيل ، تم نصب آلاف من القواعد والمنصات لإطلاق صواريخ بالستية حول العالم الإسلامي والجزيرة العربية ، وقد تكون هي مستورة عن العيون ومنصوبة في أمكنة لا تخطر على البال ، فهل هناك ما يبعث على الأمل بالنوايا الصافية التي تتظاهر بها المجموعات الغربية التي تواصل العمل الإرهابي ضد الدول الإسلامية بطريق تنظيم إرهابي عنيد ، صنعته لتحقيق مآربها الحقيرة التافهة ضد الإسلام والمسلمين ؟ وإن كانت الدول الكبرى الغربية قد أعلنت عبر مجلس الأمن والأمم المتحدة أن الجزيرة العربية ومنطقة بلاد الحرمين وجميع الأماكن المقدسة تحت خط أحمر لا تعبره أي قوة مهما كانت كبيرة ، ولكن مثل هذا الإعلان ليس إلا تسلية للناس ورثاءً ، كما هو الشأن في تسلية الأطفال الصغار بألوان من اللعب والحلاوي .

ألا فلنكن حذرين من أمثال هذه الألاعيب المزورة ولنرجع إلى ما طلب الله سبحانه منا ، فقال :

" وَلْتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ " .

وبهذه الميزة فقط يمكن التغلب على جميع الإعدادات الظاهرة والسرّية التي يتولاها المناوؤن ضد الإسلام والمسلمين ، وبها وحدها نستطيع أن ندفع أخطار حرب عالمية ثالثة تنذرنا بالهلاك والدمار الشاملين ، ولكنه فضل الله علينا .

" وَلَوْلاَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ ، وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ " .

والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

سعيد الأعظمي الندوي

١٤٣٨/٤/٥هـ

٢٠١٧/١/٤م

التوجيه الإسلامي

# القرآن الحميد والصحف السماوية القديمة في ميزان العلم والتاريخ

( الحلقة الأولى )

بقلم : سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي ( رحمه الله )

لقد كانت الصحف السماوية السابقة على القرآن الكريم هدفاً دائماً للتحريف والتعديل والتغيير ، وعرضة للضياع والتفرق والاندثار ، وذلك لأن الله تعالى لم يتكفل بوعده لها بالحفظ والبقاء ، بل وكل أمرها إلى علمائها وحملتها وناقليها كما أن حاجة البشرية إليها سواء من آمن بها ومن كفر كانت محدودة مؤقتة ، يقول الرب – تبارك سبحانه وتعالى – :

" إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّانِيُّونَ وَٱلأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ " .[1]

وهذه حقيقة تاريخية علمية يعترف بها أتباع هذه الصحف وحملتها الذين أنزلت إليهم ، أن صحف العهد العتيق تعرضت – دائماً – للسطو والإحراق والإغارة ، وقد اتفق المؤرخون اليهود أنه وقع ذلك في التاريخ ثلاث مرات ، المرة الأولى : عندما حمل " بختنصر " ( ٥٦٤/ ق م ) ( Nebuchadnezzar ) ملك بابل على اليهود عام ٥٨٦ ق م ، وأحرق بيت المقدس ، الذي كان سيدنا سليمان – عليه السلام – أودع فيه ألواح التوراة وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون ، وأسر ممن بقي من اليهود وحملهم مقيدين إلى بابل ، حيث مكثوا خمسين سنة ، وأملى النبي عزرا ( عزير ) الصحف الخمسة الأولى من التوراة من حفظه مرة ثانية ، وألف الوقائع والحوادث بالترتيب التاريخي ، ثم أضاف إليها ( نحميا ) سلسلة أخرى من الكتب ، وألحق بها ( زبور ) النبي داود – عليه السلام – .

والمرة الثانية : عندما أغار " أنطيو خوس " الرابع ( Antiochus ) الذي كان يلقب بـ " أبيقانس " وكان ملك أنطاكية اليونانية على بيت المقدس عام ١٦٨م وأحرق الصحف المقدسة ، وفرض الحظر على تلاوة

[1] المائدة : ٤٤ .

التوراة وعلى الشعائر والتقاليد اليهودية ثم بدأ " يهودا مقابى " بجمع هذه الصحف وترتيبها ، وأضاف إليها سلسلة من كتب العهد العتيق .

والمرة الثالثة : حمل " تيطوس " ( Titus ) ( ٤٠ – ٨١ م ) الملك الروماني على بيت المقدس في ٧/ من سبتمبر عام ٧٠م ، وأحرقه مع هيكل سليمان ، وحولها أنقاضاً ورماداً ، وأخذ الصحف المقدسة – تذكاراً لانتصاره – إلى العاصمة الرومية ونفي اليهود ، وأقام حول البلد مستعمرات أسكن فيها ناساً آخرين .[1]

إن موقف اليهود والمسيحيين من صحف الأنبياء والكتب السماوية ومعاييرهم لصحتها وصيانتها ومطابقتها لأصولها ، تختلف تمام الاختلاف عن موقف المسلمين من القرآن الكريم ومعاييرهم لصحته وثبوته ، إن المسلمين يعتقدون أن كل لفظة بل كل حرف في القرآن الكريم منزلة من عند الله – تعالى – محفوظة مصونة من يوم نزولها إلى يومنا هذا ، أما اليهود فإنهم لا يرون النقص والزيادة في صحفهم والتعديل والإلحاق فيها ينافي كونها كتباً سماوية ، وإنهم لا يتحرجون إطلاقاً من وصف هذه الصحف بأنها من تأليف الأنبياء ، ويمكن أن يقدر موقف اليهود من كتبهم المقدسة وعقيدتهم ووجهة نظرهم فيها من المقتطفات الآتية ، جاء في دائرة المعارف اليهودية التي قام بتأليفها كبار الفضلاء والمختصين اليهوديين :

" رغم إصرار الروايات اليهودية على أن صحف العهد العتيق هي من مؤلفات تلك الشخصيات التي ذكرت فيها ، وليس ذلك مما يخالف الواقع بتاتاً ، ولكنهم لا يرون بأساً في الاعتراف بأنه وقع في بعض هذه الصحف تعديلات وإلحاقات " .[2]

" إن الصحف الخمس الأخيرة من التوراة ( عدا الآيات الثمانية التي فيها ذكر موت موسى – عليه السلام – ) هي حسب الروايات اليهودية القديمة ، من تأليفات موسى – عليه السلام – ولكن الربيين لم يزالوا يعنون بالتناقضات والاختلافات الموجودة في هذه الصحف ، ويقومون

---

[1] انظر مصادر تاريخ الصحف المقدسة ، ودائرة المعارف اليهودية ، وتوجد إشارات إلى هذه الحوادث في صحيفة نحميا ومقابين أيضاً .

[2] دائرة المعارف اليهودية ص / ٩٣ ، Valentine's one Volume Jewish Encyclopedia, P. ٩٣.

– ببراعتهم – بإصلاحاتها وتعديلاتها " .[1]

" يقول " سبينوزا " ( Spinoza ) : إن الصحف الأولى من العهد العتيق ليست من تأليف موسى – عليه السلام – بل هي من تأليف عزرا ( عزير ) – عليه السلام – " .[2]

إن أحدث التحقيقات العلمية قدأثبتت على سبيل القطع واليقين أن الكتب الخمسة الأولى من العهد العتيق مؤلفه مما لا يقل عن ٨٢ مصدراً من المصادر .[3]

أما الأناجيل الأربعة ( التي تسمى العهد الجديد ) فشأنها أكثر تناقضاً واختلافاً من صحف العهد العتيق ، ويحيط تدوينها ومؤلفيها كثير من الغموض والتعقيد والعقبات والشكوك ، ويوجد بينها وبين المسيح – عليه السلام – خليج واسع كبير ، ولا يمكن ردمه أو عبوره لأي مؤرخ أو محقق ناقد ، فقد كانت الأناجيل في المجامع الكنيسية ومختلف الفترات الزمنية عرضة للتغيير والتحوير والإصلاح والتعديل بصفة مستمرة ، وعلاوة على ذلك فإنها أشبه بكتب السير والتاريخ ، والقصص والروايات ، منها بالكتب السماوية ، والوحي الإلهي والإلهام الرباني .

إن هذه الأناجيل ليست بمستوى مجموعات الأحاديث بالدرجة الثانية أو الثالثة ، فضلاً عن أن تكون على مستوى الكتب الستة ، لأنها مجموعات متصلة السند إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أولها أسانيد يعتمد عليها ويرجع إليها ، والحديث الصحيح عند المسلمين ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه من غير أن يكون فيه شذوذ أو علة .[4] وعلى العكس من ذلك تخلو جميع الأناجيل من جميع أنواع السند ، فليست هناك أسانيد متصلة إلى مؤلفيها ، ولا من مؤلفيها إلى سيدنا المسيح – عليه السلام – .

---

[1] دائرة المعارف اليهودية : ج / ٩ ، ص / ٥٨٩ و أيضاً ص / ٥٩٠ .

[2] المصدر السابق : ص / ٥٩٠ .

[3] مقتبس من التفسير الماجدي ( تفسير القرآن ) ويرجع للاطلاع على تحديد زمن المؤلفين الأناجيل الأربعة ، واختلافات المصادر والمراجع ( التي الفت منها هذه الصحف ) إلى الكتاب المهم ( History of Religions ) ( تاريخ الديانات ) للبروفيسور جيمس ( E. O. Hames ) أستاذ تاريخ الديانات في جامعة لندن .

[4] انظر تعريف الحديث الصحيح في كتب أصول الحديث كمقدمة ابن الصلاح و" تدريب الراوي " و " فتح المغيث " .

هذا وإن هذه الصحف التي بأيدينا ليست هي في تلك اللغات التي نزلت بها ، والتي كان ينطق بها المسيح – عليه السلام – وقومه ، بل لم تزل تنقل من لغة إلى لغة ، ووصلت عن طريق مختلف المترجمين والناقلين ، فهي – في الواقع – مثل كتب السيرة والتاريخ بل مثل كتب القصص والمواعظ ، ليس إلا .

وإذا لم نعدها – احتراماً لها وتقديراً لأصولها – من كتب الروايات الضعيفة والواهية ، فلا أقل من أن نعتبرها كمجموعات الحديث بالدرجة الرابعة ، التي لم يلتزم صحتها ولم تراع فيها قواعد الرواية والتحديث ، ولأجل كل هذه الحقائق الراهنة نرى الموازنة بين القرآن الكريم وبين هذه الصحف القديمة خطأ صريحاً ، مبنياً على الغفلة وقلة العلم ، فإن الموازنة لا تكون إلا بين شيئين متقاربين متماثلين .

ولقد أحسن المهتدي الفرنسي إلى الإسلام " موسيوايتين دينيه " (Monsieur Eaton Dien ) إذ قال وهو يعرف بهذه الأناجيل ويحدد مكانتها العلمية والتاريخية :

" إن الإنجيل الذي أنزله الله – تعالى – على عيسى – عليه السلام – بلسانه ولسان قومه ، لا نشك في أنه قد ضاع ، وأنه لم يبق له عين ولا أثر ، وهو إما تعرض لعوادي الزمن ، أو أتلفته الأيدي ، ولذلك اقتنى المسيحيون مكانه أربع مؤلفات يشك في صحتها ومكانتها التاريخية ، لأنها توجد في اللغة اليونانية التي لا توافق طبيعتها لغة عيسى – عليه السلام – الأصيلة السامية ، ولذلك فإن صلة هذه الأناجيل اليونانية بمنزلها واتصالها به أضعف من صلة توراة اليهود ، وقرآن العرب " .[1]

وتشير الشواهد الداخلية في العهد العتيق على أخطائه التاريخية الصريحة والتناقضات الواضحة والمستحيلات العقلية ، فقد نسب فيه – على سبيل المثال – إلى الله – تعالى – ما لا يليق أبداً بجلاله وعظمته ، ولا يناسب صفاته التي اتفقت عليها جميع الديانات السماوية ، ويقر بها العقل السليم ، وجاءت فيه اتهامات للأنبياء لا يتهم بها الإنسان العادي ويسمو عليها ، هذا وغير ذلك من الشواهد الداخلية التي توجد في التوراة

---

[1] أضواء على المسيحية : ص / ٥٢ – ٥٣ ، وعبارته يبدو فيها مساواته بين التوراة والقرآن ، في الثقة ، فلعلها صدرت منه قبل إسلامه أو أنه أراد به غير معناه الظاهر ، كما أن قوله : " قرآن العرب " تعبير غير سليم .

والأناجيل التي تسمى مجموعاتهما ( بائبل Bible ) أو الكتاب المقدس ، [1] تدل على الزيادات والإلحاقات والتعديلات .

هذا شأن تلك الصحف التي يقدسها أتباعها منذ آلاف السنين ، والتي يعتقد فيها ويحمل لواءها شعبان اثنان من شعوب العالم المتمدنة " الراقية " ( الشعب اليهودي والشعب المسيحي ) واعترف بها الإسلام أيضاً إلى حد أنه خاطب حملتها بـ " أهل الكتاب " ولقبهم به .

أما " ويدا " الهند ، و " أوستا " إيران فإن زمنهما أعرق في القدم ، وإن المعلومات التاريخية عنهما أقل ، والتوصل إلى معانيهما الحقيقية ومقاصدها الأساسية أعسر وأصعب مع عوادي الزمن والحوادث التاريخية بحيث يشك في صحتهما شكاً قوياً ، ويتعسر الوصول إلى تحديد زمنهما ، وإبداء أي رأي علمي حولهما .

يقول بارته ( A. Barth ) عضو الجمعية الملكية الآسيوية لباريس ( The Society Asistis of Paris) في كتابه " The Religions of India " ( الديانات الهندية ) . [2]

" لو نحينا بعض الإلحاقات التي لا يصعب فصلها وتنحيتها على محك النقد فإن هذه الصحيفة تبقى أصيلة وأنها لا تدعي عن نفسها إلا ما هي فعلا ، فلا تدعى أنها من الله ، ولا تخفى عمرها الحقيقي بطريقة صناعية ، وقد زيدت فيهما زيادات وتحريفات كثيرة ، ولكنها كلها كانت بحسن الطوية ، وبالرغم من ذلك يصعب علينا تحديد عمر هذه الصحف ، وأن برهمنا ( Brahmana ) الصحف التي حررت في الأخير ، ليست هي بأقدم من بداية عهدنا أكثر من خمسمأة عام ، أما المواد المذكورة في " ويدا " فهي أقدم منها ، أقدم إلى حد أنه لا يمكن أن يقال فيها شيئ وإن إبداء شيئ من الرأي في أقدم كتاباتها أمر مستحيل " .

---

[1] يرجع إلى كتاب " إظهار الحق " الكتاب الفريد في موضوعه للعلامة الشيخ رحمة الله الكيرانوي ( م ١٣٠٨ هـ ) دفين مكة المكرمة ، فقد ذكر المؤلف ١٢٢ اختلافاً وتحريفاً لفظياً في هذه الصحف ، وأخذ عليها ١٠٨ من الأخطاء التي لا يمكن تأويلها وقد طبع الكتاب على نفقة الشئون الدينية في قطر سنة ١٤٠٠ هـ ( ١٩٨٠ م ) بعناية الشيخ عبدالله بن إبراهيم الأنصاري – رحمه الله – .

[2] طبعة دلهي عام ١٩٦٩ م : ص / ٥٠٤ .

حتى الأساتذة الهندوس والمختصين المحققين في تاريخ الديانات الهندية ، ماذا يرون عن هذه الصحف وما هو موقفهم ، وإلى أين توصلوا بعد البحث والتفكير الحر ، يمكن أن يقدر ذلك من هذين الاقتباسين التاليين :

يقول الفاضل المعروف سريش جندرا جكرورتي ( Suresh Chandra Chakravarti) المحاضر في جامعة كلكتا ، في كتابه (Philosophy of The Upanhshads) ( فلسفة أوبنيشدا ) :

" ولقد قدمت في هذا الصدد وجهتان للأنظار ، يمثل إحداهما ( بال جنجادهر تلك ) ويمثل الثانية مكس مولر ( Maxmullar ) يرى ( تلك ) أن تاريخ ابتهالات " ويدا " يرجع إلى ٤٥٠٠ قبل المسيح ، على حين أن مكس مولر لا يراها أقدم من ٢٢٠٠ قبل المسيح ، رغم كونه متفقاً معه على أن " رك ويد " أقدم وثيقة للتفكير والتخيل الآري ، ويمكن – من دون تحديد عمر " رك ويد " – أن يقال إنه بالرغم من جمع ابتهالات " رك ويد " في مجموعة واحدة ، لم تحرر هي في زمان واحد ، ولذلك لا يمكن تقدير عمره بتحديد تاريخها وتحريرها ، ولا بد من التسليم بأن جميع ابتهالات " رك ويد " من أولها إلى آخرها ، ألفت على مدى قرون عديدة . [1]

ويقول الدكتور " رادها كرشنن " الفيلسوف الهندي المعروف (ورئيس الجمهورية سابقاً ) وهو يلقي الضوء على التصور الأساسي في "ويدا " في كتابه " Indian Philosophy " ( الفلسفة الهندية ) ، المجلد الثاني :

إن التصور الفكري الإجمالي الذي تعرضه كتب " ويد " ليس محدوداً ولا واضحاً ولذلك يمكن لمختلف المدارس الفكرية أن تستخدمه بمختلف أساليبها ومناهجها ، وعلاوة على ذلك فإن سعة هذه الكتب وضخامتها تحتمل احتمالاً كاملاً لأن يأخذ منها المؤلفون الأدلة والشواهد بحرية تامة حسب معتقداتهم وآرائهم " . [2]

( يتبع )

---

[1] ( فلسفة أوبنيشدا ) طبع كلكتا لعام ١٩٣٥ م : ص / ٢٤ – ٢٦ .

[2] طبع لندن ، عام ١٩٢٧ م : ص / ٢١ – ٢٢ .

# جوانب بلاغية في سورة البقرة

بقلم : معالي الشيخ الدكتور راشد عبد الله الفرحان
وزير الأوقاف والشئون الإسلامية في دولة الكويت سابقاً

**القصة الثانية :**

٢٤٦ ( أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ) .

وكان ذلك في زمن داؤد عليه السلام كما هو مصرح به في القصة التي تأتي في الآيات القادمة ، بمشيئة الله تعالى .

٢٥٣ ( تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ اللّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُواْ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ).

**درجات :**

( تِلْكَ الرُّسُلُ ) إشارة إلى الجماعة التي منهم النبي محمد عليه الصلاة والسلام ، واللام في الرسل للاستغراق ، وإنما التفاضل باعتبار الدرجات ، وخص محمداً بكونه مبعوثاً إلى الجن والإنس ، ويكون شرعه ناسخاً لجميع الشرائع المتقدمة ، وقال الرسول صلى الله عايه وسلم فضلت على الأنبياء بست ، أوتيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأرسلت إلى الخلق كافة ، وختم بي النبيون .

**الحث على الإنفاق :**

٢٥٤ ( يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ) .

( من ) تبعيضية أي شيئاً مما رزقناكم ، والمراد به الإنفاق الواجب بدليل ما بعده من الوعيد .

لما كانت الدنيا دار اكتساب وابتلاء ، والآخرة دار ثواب وجزاء بيّن أن لا سبيل للإنسان إلى تحصيل ما ينتفع به في الآخرة فابتلي بذكر هذه الثلاثة ، لأنها أسباب اجتلاب المنافع الفضية إليها :

١. المعاوضة ، وأعظمها المبايعة .
٢. ما تناوله بالمودة وهو المسمى بالصلات والهدايا .
٣. ما يصل إليه بمعاونة الخير ، وذلك هو الشفاعة .

ولما كانت العدالة بالقول المجمل ثلاثاً ، عدالة بين الإنسان ونفسه، وعدالة بينه وبين الناس ، وعدالة بينه وبين الله ، فكذلك الظلم له مراتب ثلاث : وأعظم الظلم ما يقابله وهو الكفر ولذلك قال : ( وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ) أي هم المستحقون لإطلاق هذا الوصف عليهم بلا شوية ، فليبادر العبد إلى تقوية الإيمان بالإنفاق والإحسان .

**آية الكرسي :**

٢٥٥ ( اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ) .

( الْقَيُّومُ ) الدائم البقاء والقيوم الذي لا يزول،والقيوم مبالغة القائم (لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ ) السِّنة النعاس من غير نوم، وقيوم لا ينام لا شيئ يشبهه في ذاته ولا في صفاته،ولا في أفعاله،( وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ )،قال ابن كثير: " والصحيح أن الكرسي غير العرش أكبر منه كما دلت على ذلك الآثار ، لكننا نؤمن بأن لله عرشاً،وأن له كرسياً،لا يشبه ما لدى المخلوقين،ونفوض الأمر لله في الكيفية التي عليها العرش والكرسي،لأنه لم تتعلق لنا بهما حاجة،ولو تعلقت لما تأخر بيان الله سبحانه لخلقه " .

٢٥٦ ( لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ).

لا يجوز في الإسلام إجبار الشخص على الدخول في الإسلام ، إذ أن

العقيدة لا بد أن تكون عن اقتناع ويطمئن بها القلب ، ويصدقها العمل ، و(الْغَيِّ ) الباطل ،( فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ ) أي الطاغي عليهم بشره وتسلطه ويدخل فيه كل طاغ كالشيطان والحاكم المستبد الظالم ، ( والْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ) هذا مثل للإيمان شبه التمسك به كالتمسك بالعروة الوثيقة .

٢٥٧ ( اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُمْ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ) .

**طباق :**

**بين النور والظلمات :**

**من غرور الكافرين بالله وقصة النمرود :**

٢٥٨ ( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِى حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِى رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ الَّذِى يُحْيِى وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِى وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ) .

( أَلَمْ تَرَ ) ألم ينته إلى علمك قصة إبراهيم مع الملك النمرود ، (فبهت الذي كفر ) أي تحير وانقطعت حجته .

**قصة صاحب الحمار :**

٢٥٩ ( أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِى هَـذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) .

( أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ ) معطوف على معنى الكلام الذي قبله : ومعناه أرأيت كالذي حاج أو كالذي مرَّ ، والكاف : للتشبيه ، والقرية هي بيت المقدس ، والمار هو عزير بن شرخيا ، والذي خربها هو بخت نصر البابلي ، ( لَمْ يَتَسَنَّهْ ) أي لم يتغير مع طول الزمان ، واللفظ مأخوذ من السَّنة ( نُنْشِزُهَا ) والمعنى نرفع بعضها فوق بعض للاحياء ، (قَرْيَةٍ ) التعبير عن بيت المقدس بالقرية مع أنها مدينة للتقليل من شأنها بعد خرابها ، والتنكير للتنفير والتحقير من الفعل الشنيع فيها مما فعله بخت نصر فيها .

آية إحياء الموتى :

٢٦٠ ( وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ) .

( رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ) راعى إبراهيم آداب الدعاء ، وبدأ بالثناء ثم سأل إحياء الموتى ولذلك أجيب دون استبطاء ، أما عزير فقال : ( أَنَّى يُحْيِي هَـٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ) ، فقال : ( فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ) أجمعهن إليك ، وإنما خص الطير لأنه أقرب للإنسان ، فصرهن من صاره يصوره ، وبكسر الصاد من صاره يصيره ، أي اضمهن واجمعهن ( إِلَيْكَ )، ( ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ) هذا يدل على أنه قطعهن ووضع الأجزاء على الجبال، ( ثُمَّ ادْعُهُنَّ ) قل لهن تعالين بإذن الله، ( يَأْتِينَكَ سَعْيًا ) طيراناً ومشياً ففعل، فجعل كل جزء يطير إلى آخر حتى صارت أجساماً كاملة ثم أقبلن ، وجعل إبراهيم ينظر ويتعجب .

الإنفاق في سبيل الله وآدابه وشروطه :

لما ذكر أصول المبدأ والمعاد وأتبعه بيان التكاليف والأحكام ففصل بعد ذلك ما أجمل من ذكر القرض الحسن المضاعف فقال :

٢٦١ ( مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ) .

٢٦٢ ( الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ) .

٦٣ ( قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ )

٢٦٤ ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ) .

( صَفْوَانٍ ) هذا المنافق المتصف بتلك الصفات كمثل الحجر الأملس ( عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ ) المطر المستمر الشديد ، ( فَتَرَكَهُ صَلْدًا ) أملس لا شيئ عليه أي لا يجدون ثواباً في الآخرة ، كما لا يوجد على الحجر الأملس شيئ من التراب .

**مثل ما ينفق للرحمن ومن ينفق للشيطان :**

٢٦٥ ( وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَآءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ) .

**التشبيه التمثيلي :**

فقد شبه الذين ينفقون أموالهم خالصة من الرياء في سبيل الله بالبستان في المكان المرتفع ، فأصابه مطر شديد فأثمر مثل ما كان يثمر في سائر الأوقات ، بسبب ما اصابه من الوابل .

٢٦٦ ( أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ) .

٢٧٢ ( لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَمَا تُنْفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَآءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ ) .

**تنفقوا – تنفقون :**

ما الأولى والأخيرة جازمة ، والمتوسطة نافية ، ( وَمَا تُنْفِقُواْ ) شرط وجزاء ما شرطية جازمة ، تنفقوا مجزوم بحذف النون لأنه من الأفعال الخمسة ، والجواب هو ، مقدر في محل جزم ، والشرط لا بد له من جواب إما مقدر أو مذكور ، أما أن يكونا بمعنى النفي فلا ، ( وَمَا تُنْفِقُونَ ) لا نافية غير جازمة ، استثناء من أهم العلل والأحوال ، أي ليست نفقتكم إلا لابتغاء وجه الله ، فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث .

**آيات الإنفاق والصدقة :**

لماذا هذا الحشد من الآيات الواردة في نهاية البقرة التي تزيد على أكثر من عشرين آية متتابعة قبيل نهاية السورة ، ما ذلك إلا دليل اهتمام الإسلام بالمجتمع والاقتصاد ، وذلك لكي لا يشبع الأغنياء ويموت الفقراء من الجوع ، مجتمع اقتصادي متكامل متكافل لكي لا تقصى فئة كبيرة وشريحة عامة من المجتمع ، فتعم الفوضى وينبع من تحتها وبين جدارانها الإرهاب .

لقد عرف المجتمع المدني اليوم هذا المعنى فأسس له أكثر من وزارة ومؤسسة ، تقوم بهذه المهمة وزارة الشئون الاجتماعية لها مهمة اجتماعية

تكافلية من هذا المعنى ، ومؤسسة التأمينات الاجتماعية لها دور مهم في هذا المضمار ، وبيت الزكاة ووزارة الأوقاف والشئون الإسلامية وغير ذلك من المؤسسات ، مما يعبر عنه الغرب بمصلة الضرائب والمكوس والجمارك .

لقد وضع الإسلام المعين الذي لا ينضب ، والأساس والقاعدة التي هدت الناس إلى هذا المعنى التكافلي الاقتصادي الذي يدفع عن المتبرع الكثير من الشرور في الدنيا ومن آفات المجتمع ويغني الكثير من ضعاف النفوس للإعتداء على أموال غيرهم لكن الأهم من هذا كله الثواب والأجر الذي يكتب للمتبرع والمزكي في الآخرة ، ولو استعرضت هذه الآيات لعلمت منها الكثير من العبر وما اعده الله للمسلم من أجر ، ( وَمَا تُنْفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأَنْفُسِكُمْ ) أي فائدة عليكم لا يضيع سدى وهو شرط وجزاء ، ثم جاء النفي للإنفاق لغير وجه الله أي ليس مقبولاً ولا نفقة ولا فائدة له إذا كان كذلك وهو نفي بين شرطين ، ثم يجيئ النهي الثاني ( وما تنفقوا من خير فإن الله يعلمه ) سواء كان بالسر أو العلن ، لا تظن أنه يذهب سدى ما دام خالصاً لوجه الله ، وهو شرط وجزاء .

الهمزة للإنكار ، ومناط الإنكار ما تعلق بإصابة الإعصار وما يتبعها من الاحتراق ، ( وَلَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ) هنا من ذكر العام بعد الخاص للتتميم ، وقد أثبت العلم أن اشد الأعاصير هو الذي تصحبه النار والحرارة .

**ختام الآية :**

( لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ) لعل ليست للترجي ، فرب العالمين لا يمكن أن يترجي عباده ، والمتبادر من معناها الإلحاح الشديد في الطلب للتفكر الطويل ، ولا شك أن من أصابه ما أصابه بمثل ما جاء في الآية إلا أن يبطل التفكر ، لذلك ناسب ختم الآية به .

٢٦٧ ( يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنْفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَلاَ تَيَمَّمُواْ الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ) .

أي زكوا وتصدقوا من الأصناف الجيدة ، ( وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ ) أي الخبيث لو أعطيتموه ، ( إِلاَّ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ) بالتساهل وغض البصر فكيف تؤدون حق الله ، والأصل أن يعرف بصره ويغضه ، فسمي الترخيص إغماضاً بطريق الكناية ، والاستعارة التصريحية ، حيث شبه

التجاوز عن الشيئ الجدير بالمؤاخذة .

**أهل الصفة :**

٢٧٣ ( لِلْفُقَرَآءِ الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِى الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ) .

( لِلْفُقَرَآءِ ) خبر مبتدأ محذوف ، وفيه إيجاز لأنه معلوم من سياق الآيات السابقة أي الصدقات .

**البلاغة :**

( لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً ) الإلحاف هو الإلحاح في الطلب ، والمراد نفي المقيد والقيد ، ويسمى في علم البيان ، نفي الشيئ بإيجابه .

**الربا وخطره على الأمة :**

٢٧٥ ( الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَآءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ) .

**البلاغة في التشبيه التمثيلي :**

حيث شبه آكلي الربا عند خروجهم من أجداثهم بقيام المصروع الذي أصابه الجنون كما يقال لمن يسرع في خطواته جنّ ، ( قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ) أرادوا في تحصيل المال الزائد ، وشبهوا البيع به للمبالغة ، وتأنيث موعظة غير حقيقي ، يجوز تأنيثه وتذكيره ، مثل طلع الشمس ، وطلعت الشمس .

٢٨٠ ( وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ) .

**تصدقوا :**

جاء الفعل بحذف إحدى التائين ، والأصل ( تتصدقوا ) ذلك أن هذه من أموال الصدقة النادرة وهو التصدق بدين المعسر فحذف التاء لكونها أقل من الصدقة المعتادة .

٢٨١ ( وَاتَّقُواْ يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ) .

يوماً نصب ظرفاً تقديره واتقوا عذاب الله يوماً ، أو مفعولاً به .

وعن ابن عباس هذه آخر آية نزلت من القرآن ، وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها بسبعة أو تسعة أيام ، وفي مكانها بين آية الدين وآية الربا تأكيد للزجر عن الربا .

آية الدين :

٢٨٢ ( يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِن كَانَ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِّن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ وَلاَ تَسْأَمُواْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُواْ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُواْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ) .

( مِّن رِّجَالِكُمْ ) يعم كل الرجال ما لم يكن هناك مخصص، (فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ ) هذا في الأموال ، وهذه الآية تتضمن الأمر بإثبات الدين والبيع على سبيل الندب لا على سبيل الوجوب ، وذكره الله من باب الإرشاد ، أما البيع والشراء بالأشياء المقبوضة اليومية فلا تحتاج إلى كتابة ، والملاحظ اليوم أن معظم المعاملات التجارية وحتى اليومية منها أصبحت بالفواتير والوصولات التي تغني عن الكتابة .

إحاطة علمه وتمام ملكه وقدرته :

٢٨٤ ( للَّهِ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِى أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ) .

تتضمن هذه الآية ما يخفيه البشر من الكره ومن الشر ، فينكشف فيدخل فيه المؤامرات وأعمال الجواسيس والمنافقين التي تحاك في الخفاء ، وتدبر في النفوس الشريرة بالسِّر ، والله هو المطلع عليها ويقدرها ويدخل في ذلك الاشتراك والاتفاق في الجريمة والتحضير لها ، ألا ترى لو أن إنساناً نوى قتل آخر حين قدومه إليه ولكنه تأخر لسبب خارج

عن إرادته أفلا يحاسبه الله على ذلك ، والمؤاخذة في الآية ، قال العلماء إنما هي على العموم ، فيؤخذ من يشاء ، وهذا مروي عن ابن عمر والحسن واختاره سليمان الدقشقي والقاضي أبو يعلى .

٢٨٥ ( آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ) .

لما ذكر سبحانه ما تشتمل عليه هذه السورة من القصص والأحكام ختمها بتصديق نبيه والمؤمنين ، ولا نفرق بين رسله كما فعل أهل الكتاب ، آمنوا ببعض وكفروا ببعض .

**التكليف حسب الطاقة :**

٢٨٦ ( لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ) .

قال أبو جعفر الطبري : النسيان على وجهين، أحدهما : على وجه التضيع والتفريط، وهذا الذي يرغب العبد إلى الله في ترك مؤاخذته، والآخر: على وجه عجز الناس عن حفظ ما استحفظوا ووكلوا به، وضعف عقولهم عن احتماله ، فتلك غير معصية ، وهو بها غير آثم . وكذلك الخطأ وجهان: أحدهما من وجه ما نهى الله عنه فيأتيه بقصد منه وإرادة، وهو به مأخوذ، وهو الذي يرغب في الصفح عنه، والآخر: ما كان منه على وجه الجهل به والظن منه بأن له فعله ، كالذي يؤكل في نهار رمضان ظناً أن الشمس غابت .

**خاتمة :**

جاء في تفسير إسماعيل حقي البروسوي ، أنزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل أن يخلق الخلق بألفي عام ، من قرأهما بعد العشاء الأخيرة أجزأتاه عن قيام الليل ، وعنه صلى الله عليه وسلم (من قرأ آيتين من آخر سورة البقرة كفتاه ) أي عن قيام الليل أو عن حساب يوم القيامة ، وقال لن تستطيعها ، ( البطلة ) قيل وما البطلة قال عليه السلام ( السحرة ) أي لا تستطيع البطلة أن تسحر قارئها ( ولا تقرأ في دار ثلاث ليال فيقربها الشيطان ) .

انتهت سورة البقرة .

# نظرية التسامح في الإسلام

الشيخ الطاهر بدوي الجزائري

لقد كانت الأرض في حاجة ماسة إلى رسالة جديدة . كان الفساد قد عم أرجاءها كلها بحيث لا يرتجى لها صلاح إلا برسالة جديدة ومنهج جديد وحركة جديدة ، وكان الكفر قد تطرق إلى عقائد أهلها جميعا سواء أهل الكتاب الذين عرفوا الديانات السماوية من قبل ثم حرفوها وهم اليهود والنصارى أو المشركون في داخل الجزيرة العربية وخارجها . وما كانوا لينفكوا ويتحولوا عن هذا الكفر الذي صاروا إليه إلا بهذه الرسالة الجديدة وإلا على يد خاتم الأنبياء والمرسلين يكون هو ذاته بينة واضحة فارقة فاصلة .. وهذه حقيقة تقررها سورة البينة كما تقرر حقائق أخرى : قال تعالى : "لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ . رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُو صُحُفاً مُّطَهَّرَةً . فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ" .

والحقيقة الثانية : أن أهل الكتاب لم يختلفوا في دينهم عن جهالة ولا عن غموض فيه إنما اختلفوا من بعد ما جاء العلم وجاءتهم البينة . قال سبحانه : " وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ " .

والحقيقة الثالثة : أن الدين في أصله واحد ، وقواعده سهلة واضحة ، لا تدعو إلى التفرق والاختلاف في ذاتها وطبيعتها البسيطة اليسيرة : قال جل ذكره : " وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلاَةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَواةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ " .

والحقيقة الرابعة : أن الذين كفروا بعد ما جاءتهم البينة هم شر البرية وأن الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم خير البرية ومن ثم يختلف جزاء هؤلاء عن هؤلاء اختلافا بيّنا .

لقد جاءت هذه الرسالة في إبانها ، وجاء هذا الرسول الكريم في وقته ، وجاءت هذه الصحف المطهرة وما فيها من كتب وحقائق وموضوعات لتحدث في الأرض كلها حدثا لا تصلح الأرض إلا به ، وترد التائهين إلى المحجة البيضاء . وأما حالة البشرية والديانات قبل البعثة

المحمدية فيقول عنها المفكر الكبير السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله في كتابه " ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين " : " كان القرن السادس والسابع لميلاد المسيح من أحط أدوار التاريخ بلا خلاف . فكانت الإنسانية متدلية منحدرة منذ قرون ، وما على وجه الأرض قوة تمسك بيدها وتمنعها من التردي وقد زادتها الأيام سرعة في هبوطها وشدة في إسفافها . وكان الإنسان في هذا القرن قد نسي خالقه ، فنسي نفسه ومصيره ، وفقد رشده وقوة التمييز بين الخير والشر ، والحسن والقبيح . وقد خفتت دعوة الأنبياء من زمن ، والمصابيح التي أوقدوها قد انطفأت من العواصف التي هبت بعدهم ، أو بقيت ونورها ضعيف ضئيل لا ينير إلا بعض القلوب ، فضلا عن البيوت ، فضلا عن البلاد .

وقد انسحب رجال الدين من ميدان الحياة ولاذوا بالأديرة والكنائس والخلوات فراراً بدينهم من الفتن ، وضناً بأنفسهم ، أو رغبة إلى الدعة والسكون وفراراً من تكاليف الحياة وجدها ، أو فشلا في كفاح الدين والسياسة ، والروح والمادة ، ومن بقي منهم في تيار الحياة اصطلح مع الملوك وأهل الدنيا وعاونهم على إثمهم وعدوانهم وأكل أموال الناس بالباطل .

أصبحت الديانات العظيمة فريسة العابثين والمتلاعبين ، ولعبة المجرمين والمنافقين حتى فقدت روحها وشكلها ، فلو بعث أصحابها الأولون لم يعرفوها وأصبحت مهود الحضارة والثقافة والحكم والسياسة مسرح الفوضى والانحلال والاختلال وسوء النظام وعسف الحكام ، وشغلت بنفسها لا تحمل للعالم رسالة ، ولا للأمم دعوة ، وأفلست في معنوياتها ، ونضب معين حياتها ، لا تملك مشروعاً صافياً من الدين السماوي ولا نظاما ثابتا من الحكم البشري " .

هذه اللمحة السريعة تصور في إجمال حالة البشرية قبيل البعثة المحمدية المباركة وقد أشار القرآن إلى مظاهر الكفر الذي شمل أهل الكتاب والمشركين في مواضع شتى : من ذلك قوله تعالى في سورة التوبة : " وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَارَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ " ، وفي سورة البقرة قوله عز وجل : " وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَارَى

عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَارَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ " ، وقوله تعالى في سورة المائدة : " وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ " ، وفي نفس السورة قوله عز وجل : " لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ " ، وقوله : " لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَـٰثَةٍ " ، وقوله جل ذكره عن المشركين : " قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ . لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ . وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ . وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ . وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ . لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ " وغيرها كثير . . .

وكان وراء هذا الكفر ما وراءه من الشر والانحطاط والشقاق والخراب الذي عم أرجاء الأرض . . . . . ويضيف الأستاذ الندوي قائلا : " وبالجملة لم تكن على ظهر الأرض أمة صالحة المزاج ، ولا مجتمع قائم على أساس الأخلاق والفضيلة ، ولا حكومة مؤسسة على أساس العدل والرحمة ، ولا قيادة مبنية على العلم والحكمة ولا دين صحيح مأثور عن الأنبياء " .

ومن ثم اقتضت رحمة الله بالبشرية إرسال رسول من عنده يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة . وما كان الذين كفروا من المشركين ومن الذين أوتوا الكتاب ليتحولوا عن ضلالهم إلى سواء السبيل إلا بهذه الرسالة الجديدة الخاتمة وبهذا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم المبعوث رحمة للعالمين .

ولما قرر القرآن هذه الحقيقة في مطلع سورة البينة عاد يقرر أن أهل الكتاب خاصة لم يتفرقوا ولم يختلفوا في دينهم عن جهل أو عن غموض في الدين أو تعقيد ، إنما هم تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن بعد ما جاءتهم البينة من دينهم على أيدي رسلهم عليهم الصلاة والسلام .

وكان أول التفريق والاختلاف ما وقع بين طوائف اليهود قبل بعثة سيدنا عيسى عليه السلام .

فقد انقسموا شعباً وأحزاباً مع أن رسولهم هو موسى عليه السلام وكتابهم هو التوراة . فكانوا طوائف خمساً رئيسية هي الصدوقيين والفريسيين والآسيين والغلاة والسمريين . ولكل طائفة سمة واتجاه . ثم كان التفرق بين اليهود والنصارى على أن المسيح عيسى عليه السلام هو

أحد أنبياء بني إسرائيل وآخرهم وقد جاء مصدقا لما بين يديه من التوراة ، ومع هذا فقد بلغ الخلاف والشقاق بين اليهود والمسيحيين حد العداء العنيف والحقد الذميم ، وحفظ التاريخ من المجازر بين الفريقين ما تقشعر له الأبدان .

ثم كان التفرق والاختلاف بين النصارى أنفسهم مع أن كتابهم ونبيهم واحد ، تفرقوا واختلفوا أولا في العقيدة ثم تفرقوا واختلفوا طوائف متعادية متنافرة متقاتلة . وقد دارت الخلافات حول طبيعة سيدنا المسيح عيسى عليه السلام وعما إذا كانت لاهوتية أو ناسوتية ، وطبيعة أمه مريم عليها السلام وطبيعة الثالوث التي يتألف منه " الله " في زعمهم . ويعنون بذلك الأب والابن والروح القدس . . . وترى القرآن يفضحهم على رؤوس الأشهاد ويبطل دعاويهم قائلا : " لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا " ؟ ويقول أيضا في نفس السورة عن وثنية النصارى : " لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ " . ثم يقرر حقيقة سيدنا عيسى عليه السلام ويقول : " مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ " . ورحم الله الأستاذ الندوي حين قال عن هذا الخلاف : " وكان أشد مظاهر هذا الخلاف الديني ما كان بين نصارى الشام والدولة الرومية وبين نصارى مصر . أو بين " الملكانية " أو " المنوفوسية " بلفظ أصح . فكان شعار الملكانية عقيدة ازدواج طبيعة المسيح وكان المنوفوسيون يعتقدون أن للسيد المسيح طبيعة واحدة هي الإلهية ، التي تلاشت فيها طبيعة المسيح البشرية كقطرة من الخل تقع في بحر عميق لا قرار له . وقد اشتد هذا الخلاف بين الحزبين في القرنين السادس والسابع حتى صار كأنه حرب عوان بين دينين متنافسين أو كأنه خلاف بين اليهود والنصارى . . . كل طائفة تقول للأخرى إنها ليست على شيء " .

وكان هذا الخلاف كله بين أهل الكتاب جميعا " من بعد ما جاءتهم البينة " فلم يكن ينقصهم العلم والبيان ، إنما كان يجرفهم الهوى والانحراف ، بالرغم من أن الدين في أصله واحد والعقيدة في ذاتها

بسيطة . ويتلخص هذا الدين في العقيدة الخالصة في الضمير والعبادة لله وحده ثم إنفاق للمال في سبيل الله .

فمن حقق هذه القواعد فقد حقق الإيمان كما أمر به أهل الكتاب وكما هو دين الله على الإطلاق . دين واحد وعقيدة واحدة تتوالى بها الرسالات ويتوافى عليها الرسل . . . . . دين لا غموض فيه ولا تعقيد ، وعقيدة لا تدعو إلى التفرق ولا خلاف ، وهي بهذه النصاعة وبهذه البساطة وبهذا التيسير ! فأين هذا من تلك التصورات المعقدة وذلك الجدل الكثير ؟

كيف توصل الإسلام إلى نزع الأحقاد الدينية من عقول متبعيه ؟ إنه توصل إلى ذلك بطريقة لم نسمع بها إلا منذ أمد قريب بعد أن وقف علماء الإنسان على أسرار النفس الإنسانية وكيف أنها تختلف من الحكم على الأشياء ، ولهذا صرح القرآن الكريم بأن اختلاف الناس في معتقداتهم من سنن الله في خلقه .

قال تعالى في سورة هود : " وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذٰلِكَ خَلَقَهُمْ " .

ولو شاء الله لخلق الناس كلهم على نسق واحد وباستعداد واحد ، نسخا مكررة لا تفاوت بينها ولا تنويع فيها . وهذه ليست طبيعة هذه الحياة المقدرة على هذه الأرض ، وليست طبيعة هذا المخلوق البشري الذي استخلفه الله في الأرض . ولقد شاء الله جل جلاله أن تتنوع استعدادات هذا المخلوق واتجاهاته ، وأن يوهب القدرة على حرية الاتجاه ، وأن يختار هو طريقه ، ويحمل تبعة الاختيار ، ويجازي على اختياره للهدى أو للضلال .

هكذا اقتضت سنة الله وجرت مشيئته في أن يكون لهذا المخلوق أن يختار وأن يلقى جزاء منهجه الذي اختار .

شاء الله ألا يكون الناس أمة واحدة ، فكان من مقتضى هذا أن يكونوا مختلفين وأن يبلغ هذا الاختلاف إلى أن يكون في أصول العقيدة ، إلا الذين أدركتهم رحمة الله ، الذين اهتدوا إلى الحق والحق لا يتعدد ، فاتفقوا عليه ، وهذا لا ينفي أنهم مختلفون مع أهل الضلال .

ويقول الله مخاطبا رسوله الكريم سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم : " وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ " . لقد كان الرسول صلى الله عليه و سلم حريصا على إيمان قومه رغبة في إيصال الخير الذي جاء به إليهم ورحمة لهم مما ينتظر المشركين من نكد الدنيا وعذاب الآخرة ولكن الله يهدي لنوره من يشاء ، فهؤلاء – علم الله – أن إعراضهم عن دلائل التوحيد لا يؤهلهم للإيمان بخالق الأكوان ولإخلاص العبودية له ولا يجعلهم ينتفعون بحقائقه المبثوثة في الآفاق . وعلى هذا علم المسلمون أنه يتوجب عليهم أن لا يحقدوا ولا يضطهدوا من يخالفهم في الدين لأن هذه هي إرادة الله التي خلقت الناس على هذا الاختلاف .

ثم نرى أنه بينما كان رؤساء أكثر الأديان يأمرون أتباعهم باستعمال أشد الطرق الإكراهية لحمل الناس على الدخول في دينهم ولو أدى ذلك إلى قتل الآلاف ، نرى الإسلام الحنيف يخاطب متبعيه بأن لا يرغموا أحداً على ترك دينه واعتناق الإسلام . وفي هذا يقول جل ذكره في سورة البقرة : " لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ " .

وعلى هذا المبدأ سار المسلمون في علاقتهم مع أهل الأديان الأخرى ، فكانوا يبيحون لأهل البلد الذي يفتحونه أن يبقوا على دينهم مع أداء الجزية ، وكانوا في مقابل ذلك يحمونهم ضد كل اعتداء ، ويحترمون عقائدهم وشعائرهم ومعابدهم . وخير مثال على ذلك كما ذكر الإمام الطبري رحمه الله في ( تاريخ الملوك ) العهد الذي قطعه سيدنا عمر الفاروق على نفسه لأهل القدس الشريف : " أعطاهم الأمان لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم ، وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ، إنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدَّم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صليبهم ولا من أموالهم شيء ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود .

وهذه الحرية تبيح لغير المسلمين تحت ظل الإسلام ما لا يبيحه الإسلام لأهله .

فالإسلام حرم الخمر وأقام الحد على شاربها من المسلمين ، ومع ذلك أباح لغيرهم أن يشربوها وكذلك حرم لحم الخنزير ولكن أباح لغير المسلمين أن يأكلوه ما دام دينهم لا يحرمه .

ولقد بالغ الإسلام في حماية حرية المخالفين إلى حد أن المسلم إذا أراق خمر الذمّي يعيش تحت الراية الإسلامية أو قتل خنزيرا له ، وجب عليه أن يدفع قيمة ما أتلف كما ورد عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله في الفقه .

ومن آثار الحرية الدينية ما رسمه الإسلام من أدب المناقشة الدينية ومجادلة أهل الكتاب مجادلة أساسها العقل والمنطق وعمادها الإقناع بالطريقة التي هي أحسن قال تعالى : " وَلاَ تُجَادِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَابِ إِلاَّ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلاَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ وَقُولُوٓاْ آمَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ " . إن دعوة الله التي حملها سيدنا نوح عليه السلام والرسل بعده حتى وصلت إلى خاتم النبيين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لهي دعوة واحدة من عند إله واحد ذات هدف واحد هو رد البشرية الضالة إلى ربها وهدايتها إلى طريقه وإن المؤمنين بكل رسالة الأخوة للمؤمنين بسائر الرسالات : كلهم أمة واحدة تعبد إلها واحد وإن البشرية في جميع أجيالها لصنفان إثنان : صنف المؤمنين وهم حزب الله وصنف المُشاقين لله وهو حزب الشيطان ، بغض النظر عن تطاول الزمان وتباعد المكان ، وكل جيل من أجيال المؤمنين هو حلقة في تلك السلسلة الطويلة الممتدة على مدار القرون .

هذه هي الحقيقة الضخمة العظيمة الرفيعة التي يقوم عليها الإسلام ، والتي تقررها هذه الآية الكريمة من القرآن ، هذه الحقيقة التي ترفع العلاقات بين البشر عن أن تكون مجرد علاقة دم أو نسب ، أو جنس ، أو وطن ، أو تبادل أو تجارة بترفعها عن هذا كله لتصلها بالله جل علاه ، ممثلة في عقيدة واحدة تذوب فيها الأجناس والألوان وتختفي فيها القوميات والأوطان ، ويتلاشى فيها الزمان والمكان ولا تبقى إلا العروة الوثقى في الخالق الديان .

ومن ثم يكشف للمسلمين عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالحسنى لبيان حكمة مجيء الرسالة الجديدة ، والكشف عما بينها وبين الرسالات قبلها من صلة والإقناع بضرورة الأخذ بالصورة الأخيرة من صور دعوة الله الموافقة لما قبلها من الدعوات ، المكملة لها وفق حكمة الله وعلمه بحاجة البشر إلا الذين ظلموا منهم فانحرفوا عن التوحيد الذي هو

قاعدة العقيدة الباقية ، وأشركوا بالله وأخلوا بمنهجه في الحياة . فهؤلاء لا جدال معهم ولا مشاقة ، وهؤلاء هم الذين حاربهم الإسلام عندما قامت له دولة في المدينة المنورة .

وإن بعضهم ليفتري على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أحسن إلى أهل الكتاب ، وهو في مكة مطارد من المشركين . فلما أن صارت له قوة في المدينة حارب مخالفاً كل ما قاله فيهم وهو في مكة ! وهو افتراء ظاهر يشهد هذا النص المكي عليه ، فمجادلة أهل الكتاب بالحسنى مقصورة على من لم يظلم منهم ، ولم ينحرف عن دين الله وعن التوحيد الخالص الذي جاءت به جميع الرسالات . ويرسم الله تعالى في سورة الممتحنة كيفية معاملة المسلمين للذين يخالفونهم في دينهم لقوله جل ذكره : " لاَّ يَنْهَاكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّالِمُونَ" .

لقد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم مثلاً أعلى لمعاملة أهل الكتاب . فقد روي أنه كان يحضر ولائمهم ويشيع جنائزهم ، ويعود مرضاهم ، ويزورهم ويكرمهم ، حتى روي أنه لما زاره وفد نصارى نجران فرش عليه السلام لهم عباءته المباركة ودعاهم إلى الجلوس عليها . وروي أيضا أنه كان يقترض من أهل الكتاب نقوداً ويرهنهم أمتعته ، حتى إنه عليه الصلاة والسلام توفي ودرعه مرهونة عند بعض يهود المدينة في دين عليه ، ولم يخلص درعه إلا خلفاؤه من بعده .

كان صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك لا عجزاً من أصحابه عن إقراضه ، فكان منهم المثرون ، وهم المستعدون لأن يضحوا بأنفسهم وأموالهم في مرضاة نبيهم الكريم ، ولكنه كان يفعل ذلك تعليماً وإرشاداً لأمته المجيدة .

وقد سار المسلمون على سيرة نبيهم فعاشروا غيرهم من أهل الملل والنِّحل الأخرى بصفاء ووئام ، فكان المسيحي واليهودي يجاوران المسلم فيتزاورون ويتهادون ، لا يفصلهم إلا المسجد والكنيسة والبيعة . روي أن غلاماً لابن عباس رضي الله عنهما ذبح شاة فقال له ابن عباس : لا تنس

جارنا اليهودي ، ثم كررها حتى قال له الغلام : كم تقول هذا ! فقال : " إن النبي صلى الله عليه وسلم قد أوصانا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه " . ومعنى هذا أن الإسلام لا يفرّق في مكارم الأخلاق وحقوق الاجتماع بين مسلم وغيره .

هكذا نشأ المسلمون نشأتهم الأولى ، والدين أقوى حاكم على شعورهم ، فلم يشاهد منهم ما يعابون عليه من جهة التسامح مع مخالفيهم ، ثم لما انتشر العلم فيهم ونبغ منهم المؤلفون والباحثون لم تصب هذه النزعة فيهم أدنى انحراف ، بل زادوها رونقاً بما قاموا به من حماية علماء الملل الأخرى ومكافأتهم ، وقد أفاض بذكر ذلك كتاب " الأغاني " الذي سرد كثيراً من أخبارهم .

والفقهاء الأولون لم يهملوا حقوق أهل الذمة . فقد نصوا على وجوب الرفق بهم ودفع من يتعرض لأذيتهم . فقال الإمام الشهاب القرافي رحمه الله في كتاب " الفروق " : " إن عقد الذمة يوجب لهم حقوقاً علينا ، لأنهم في جوارنا وفي خفارتنا ، وفي ذمة الله تعالى وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ودين الإسلام . فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة في عرض أحدهم ،أو أي نوع من أنواع الأذية ، أو أعان على ذلك ، فقد ضيَّع ذمة الله تعالى ، وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة دين الإسلام " .

وقال الإمام ابن حزم رحمه الله في ( مراتب الإجماع ) : " إن من كان في الذمة ، وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه وجب علينا أن نخرج لقتالهم ، ونموت دون ذلك ، فإن تسليمه إهمال لعقد الذمة " . وإضافة إلى هذا كله فإن كثيراً من علماء الغرب يدلون بشهاداتهم حول التسامح الإسلامي وكثيرا منهم دخل في هذا الدين عن إقناع وبصيرة .

❖ جاء في الأخبار للنصرانية شهادة تؤيد مدى التسامح الإسلامي ، وهي شهادة ( عيشو يابه ) الذي تولى كرسي البطريكية من سنة ٦٤٧ إلى سنة ٦٥٧ هـ إذ كتب يقول : " إن العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة على العالم يعاملوننا كما تعرفون . إنهم ليسوا بأعداء للنصرانية ، بل يمتدحون ملتنا ويوقرون قسيسنا وقديسينا ، ويمدون يد المعونة إلى كنائسنا وأديرتنا " .

❖ وقد استطاع ( ميخائيل الأكبر ) بطريق أنطاكيا اليعقوبي أن يحبذ فيما كتبه في النصف الثاني من القرن الثاني عشر ما قرره إخوانه في الدين ، وأن يرى أصبع الله في الفتوح العربية حتى بعد أن خبرت الكنائس الشرقية الحكم الإسلامي خمسة قرون ، وقد كتب يقول بعد أن سرد اضطهادات هرقل : " وهذا هو السبب في أن إله الانتقام الذي تفرّد بالقوة والجبروت ، والذي يديل دولة البشر كما يشاء ، فيؤتيها من يشاء و يرفع الوضيع ، لما رأى شرور الروم الذين لجأوا إلى القوة فنهبوا كنائسنا وسلبوا أديارنا في كافة ممتلكاتهم وأنزلوا بنا العقاب في غير رحمة ولا شفقة ، أرسل أبناء إسماعيل من بلاد الجنوب ليخلصنا على أيديهم من قبضة الروم .

وفي الحق أننا إذا كنا قد تحملنا شيئاً من الخسارة بسبب انتزاع الكنائس الكاثوليكية منا وإعطائها لأهل خلقيدونية فقد استمرت هذه الكنائس في حوزتهم ، ولما أسلمت المدن للعرب خصص هؤلاء لكل طائفة من الكنائس التي وجدت في حوزتها ( وفي ذلك الوقت كانت قد انتزعت منا كنيسة حمص الكبرى وكنيسة حران ) ومع ذلك فلم يكن كسبا هينا أن نتخلص من قسوة الروم وأذاهم وحنقهم وتحمسهم العنيف ضدنا ، وأن نجد أنفسنا في أمن وسلام " .

❖ ويقول ( سير . ت . و . أرنولد ) في كتابه " الدعوة إلى الإسلام " : ومن هذه الأمثلة التي قدمناها آنفاً عن ذاك التسامح الذي بسطه المسلمون الظافرون على العرب المسيحيين في القرن الأول من الهجرة ، واستمر في الأجيال المتعاقبة ، نستطيع أن نستخلص بحق أن هذه القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام إنما فعلت ذلك عن اختيار وإرادة حرة ، وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد على هذا التسامح " .

ويقول أيضاً قبل ذلك : " ويمكننا أن نحكم من الصِّلات الودية التي قامت بين المسيحيين والمسلمين من العرب بأن القوة لم تكن عاملاً حاسماً في تحويل الناس إلى الإسلام ، فمحمد نفسه قد عقد حلفا مع بعض القبائل المسيحية ، وأخذ على عاتقه

حمايتهم ، ومنحهم الحرية في إقامة شعائرهم الدينية ، كما أتاح لرجال الكنيسة أن ينعموا بحقوقهم ونفوذهم " .

❖ وهذه شهادة أخرى على تسامح الإسلام من الأستاذ ( متز ) إذ يقول : " إن ما يميز المملكة الإسلامية عن أوروبا النصرانية في القرون الوسطى أن الأولى يسكنها عدد كبير من معتنقي الأديان الأخرى غير الإسلام ، وليست كذلك الثانية ، وإن الكنائس والبيع ظلت في المملكة الإسلامية ، كأنها خارجة عن سلطان الحكومة ، وكأنها لا تكون جزءا من المملكة ، معتمدة في ذلك على العهود وما أكسبتهم من حقوق ، وقضت الضرورة أن يعيش اليهود والنصارى بجانب المسلمين ، فأعان ذلك على خلق جو من التسامح لم تعرفه أوربا في القرون الوسطى . . . كان اليهودي والنصراني أحراراً في أن يدين الواحد بدين الآخر ولكنه إن أسلم ثم ارتد عوقب بالقتل " .

❖ وهذه شهادة أخيرة عل تسامح الإسلام من عالم كبير وهو الأستاذ " شكرى قردا حير " ، فقد نشر كتاباً بالفرنسية سماه :

" إيجاد وممارسة القانون الدولي الخاص في بلاد الإسلام " ، تكلم عن حالة الأجانب في بلاد المسلمين متتبعاً في بحثه أدوار التاريخ . فأفاض يفصل الأطوار التي مرت فيها حالة الأجانب على عهد الدولة العربية أولا ، ثم على عهد الدولة التركية ، فلم يجد بداً من الاعتراف : بأن معاملة الأجانب في بلاد المسلمين كانت تصدر عن شعور صادق بالتسامح لا يوجد ما يقابله في معاملة الدول الغربية . ثم لما تقرر نظام الامتيازات في بلاد المسلمين بإلحاح الدول الغربية ، وهو النظام الذي جعلوه مشابهاً لنظام الأقليات العنصرية في العهد الراهن ، ظهر جلياً أمر لم يكن منتظراً ، ذلك أنه قد ثبت أن حالة الأجانب تحت ظل الامتيازات أصبحت أقل ملاءمة لهم من كل وجه من حالتهم على عهد الدولة الإسلامية . فاتضح أن عاطفة التسامح الإسلامي كانت أجدى عليهم من نظام الحماية التي يتمتعون بها الآن .

# القيم الإنسانية في القرآن الكريم

الدكتور محمد فضل الله شريف *

إن القرآن الكريم جاء من عند الله، ليهدي الإنسان للتي هي أقوم، وهو رسالة من الله عز وجل أنزلها بالوحي إلى رسوله صلى الله عليه وسلم لكي يُرشد الإنسان ، ويبيّن أمامه الطريق المستقيم، فيسلك مسالك الحياة ويجتاز مراحلها في ضوئه، حتى يفوز في الدنيا والآخرة، كما ينير القرآن الكريم أمامهم معالم الحياة ، والمبادئ، والأصول، والقيم التي توّحد الإنسانية ، وتقيم فيما بينهم أواصر المحبة والمودة، كما يدلّ إلى الأسس التي تسبّب ترسيخ جذور الأخوة، والتراحم، والتواد، والتواصل، وتقضي على التباغض ، والتحاسد، والتدابر، والتناجش، والتشاجر، وتجعل البشر كلهم اخواناً متقابلين ، وتربطهم في رابطة الجسد الواحد، ويشدّ بعضهم ببعض كالبنيان المرصوص، لكننا نرى اليوم المجتمع الإنساني مفككة الأوصال ، كلّ يريد أن يأكل من نصيب أخيه ، فيسلب عرضه وأراضيه ، ويسيطر عليه وينهب أمواله وثرواته ، فلا يرى في نفع غيره ، بل يريد أن يجتمع جميع المنافع عند نفسه ، فيأكل ويعيش عيشة رغيدة ، ويهتم بنفسه ، ولا ينظر إلى الأيتام والأرامل واليائسين والمكروبين، والمعدومين والمحرومين الذين يعيشون عيشة ضنكاً ، ليس عندهم ما يسدّ رمقهم وينقذ حياتهم ، بل ويلفظون أنفاسهم أخيراً ، ويموتون جوعاً، وعطشاً، إذن لا بد من وجود إنسانية القرآن ، بأن ينظر إلى نفسه ولا ينسى الآخرين ، ويراعي الأفراد والمجتمعات الإنسانية كلها ، ويسعى لكي يتحلى كل إنسان بفضائل الأخلاق ويتخلى عن الرذائل والمساوئ.

إنما تطلق القيم الإنسانية على الصفات أو المُثُل أو القواعد ، تقام عليه الحياة البشرية ، وتختلف عن الحياة الحيوانية ، ومن القيم الأساسية التي لا يختلف عليها أحد ، كالصدق والأمانة واحترام الآخرين ، والقيم المتعلقة بكل إنسان ، فهي تختلف من شخص لآخر ، فهذا يختار قيمة

---

* الأستاذ المساعد : ايه كيه ايم الكلية الشرقية ، ( التابعة بالجامعة العثمانية ) ، غاتشي غوره ، حيدر آباد .

نشر العلم مثلا كقيمة من القيم الأساسية ، وآخر يختار قيمة إغاثة المحتاج ، والثالث يختار قيمة ثالثة ، والقيم العليا وهي القيم التي تسمو بالإنسان إلى معالى الأمور ، وترفع مستواه على سائر المخلوقات ، ومنها : الحق ، والعبودية ، والعدل ، والإحسان ، والحكمة ، وتُعدّ هذه القيم من أرقي القيم الإنسانية وأسماها وأعلاها على الإطلاق ، والقيم الحضارية ، مثلا الاستخلاف ، والمسئولية ، والحرية ، والمساواة ، والعمل ، والقوة ، والأمن ، والسلام ، والجمال وغيرها ، والقيم الأخلاقية : مثلا وهو ما يتخلق به الإنسان ويتعامل به مع الآخرين لتكوين مجتمع إسلامي فاضل تسوده المحبة والوئام ، كالبر ، والأمانة ، والصدق ، والأخوة ، والتعاون ، والوفاء ، والصبر ، والشكر ، والحياء، والنصح ، والرحمة ، والصبر ، والحوار ، واحترام الآخر وغيرها .

وهنا سأتناول بعض هذه القيم الإنسانية الفاضلة ، وأقف معها بشيء من البسط والبيان ، وليس الغرض الحصر لهذه القيم الواردة في القرآن الكريم .

١- **وحدة الجنس البشري ، والكرامة الإنسانية :**

ومن القيم الأساسية التي دعا إليها القرآن وحدة الجنس البشري ، والشعور بها دائماً ، حيث تجمع الإنسانية أخوة النسب الإنساني الذي يرجعون به إلى أبيهم آدم عليه السلام ، قال تعالى : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً " (النساء:١) كما بيّن القرآن الكرامة الإنسانية التي يستحقها الإنسان لكونه آدمياً ، رجلا كان أو امرأة ، صغيراً كان أو كبيراً ، قال سبحانه وتعالى: " وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا "(الإسراء:٧٠) وبهذه الكرامة يصان دم الإنسان وعرضه وماله وحرمته ، ولذلك حرّم قتل النفس الإنسانية بغير حق ، وقتل نفس واحدة ظلماً عند الله كقتل الناس جميعاً ، وحماية نفس واحدة من القتل كإحياء الناس جميعاً ، قال تعالى في القرآن الكريم " مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا " (المائدة : ٣٢)

٢- **العدل والمساواة :**

ومن القيم الأساسية التي يدعو إليها القرآن هو العدل والمساواة ، لأنه ليس شيء أسرع في خراب الأرض ، ولا أفسد لضمائر الخلق من

الجور ، لأنه ليس يقف على حد ، ولا ينتهي إلى غاية ، والعدل يدعو إلى الألفة ، ويبعث على الطاعة ، وتعمر به البلاد ، وتنمو به الأموال ، ويكبر معه النسل ، ويأمن به السلطان ، فللمساواة والعدل قيمة عظيمة ما أجملها ، وما أعظمها ، وما أورعها ! وإذا طبّقت في واقع الناس فإنهم يشعرون بالأمن والطمأنينة والراحة والسعادة ، إنما أوجب الإسلام العدل والإنصاف لكل شخص ولو كان مخالفا لنا في الدين والعقيدة ، كما أوجب العدل في كل شيء من الأقوال والأفعال ، وقد أعلنها القرآن الكريم وطبقها على واقع المسلمين ، فيدعو إلى ذلك بقوله :

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا ، اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ " (المائدة :٨) هناك آيات قرآنية أخرى تدعو إلى مفهوم العدالة البين والشامل لكل المفاهيم ، فبالعدل والمساواة يمكن تحقيق الاستقرار والطمأنينة في المجتمع الإنساني بحيث يشعر كل فرد من أفراد أنه ليس أقل من غيره، والقضاء على الفتن الطائفية بإيجاد الشعور بأن الآخرين لهم حق المواطنة على المساواة ، وإشعار المرأة بأن لها قيمة لا تقل من قيمة الرجل،والقضاء على الكبر والغرور عند من يظنون أنفسهم فوق الناس .

٣- البرّ :

ومن القيم الإنسانية الفاضلة التي رغب إليها القرآن ، ودعا إليها الإسلام هو البر ، والبر كلمة جامعة لكل معاني الخير ، إن البر إذا أطلق تناول جميع ما أمر الله به[1] . إنما البر والتقوي لفظان مترادفان ، ولذا قال الله عز وجل " ولكن البر من اتقي " وقال في موضع آخر "وتعاونوا على البر والتقوي " وإن الله عز وجل أمر بالبر ، ورغب فيه ، وامتدح أهله فقال الله تعالى " وتعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان " ، وقد قال الله عز وجل مبيِّناً معنى البر" لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ

(١) العلامة ابن تيمية ، مجموع الفتاوي : ١١١ ، ١٨٤ ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المملكة العربية السعودية .

الْمُتَّقُونَ " (البقرة : ١٧٧) إنما البر يوصل إلى الجنة ، ويزيد في العمر والمال والنسل ، وينال به محبة الناس ومحبة الله عز وجل على السواء ، والبر يؤدي إلى الألفة وشيوع المحبة في المجتمع ، والأبرار تعمر بهم الأرض ، وذلك بخلاف الفجار الذين يخربونها وهي عامرة .

إنما تنقسم البر إلى قسمين رئيسين :

الأول : الصلة : وهي (التبرع ببذل المال في جهات محمودة ، بغير عوض مطلوب ، وهذا ما تبعث عليه سماحة النفس وسخاؤها ، وتمن عن شحّها وإبائها ، قال الله تعالى : " ومن يوق شحّ نفسه فأولئك هم المفحلون " .

الثاني : المعروف : وهو يتنوع إلى نوعين ، قول وعمل :

فأما القول : فهو طيب الكلام وحسن البشر والتودد بجميل القول ، وهذا يبعث على حسن الخلق ، ورقة الطبع ، ويجب أن يكون محدودا كالسخاء ؛ فإنه من أسرف فيه كان ملقاً مذموماً ، وإن توسّط واقتصد فيه كان معروفاً وبراً محموداً .

وأما العمل : فهو بذل الجاه ، والمساعدة بالنفس ، والمعونة في النائبة ، وهذا يبعث عليه حب الخير للناس ، وإيثار الصلاح لهم ، وليس في هذه الأمور سرف ، ولا لغايتها حد ، بخلاف النوع الأول ، وإن كثرت فهي أفعال خير تعود بنفعين : نفع على فاعلها في اكتساب الأجر ، وجميل الذكر ، ونفع على المعان بها في التخفيف عنه والمساعدة له [1] .

٤- التعاون :

ومن القيم الإنسانية الفاضلة التي رغب الإسلام فيها : التعاون ، والتعاون هو التضامن والتعاضد والترافد .

والتعاون المطلوب هو التعاون على البر والتقوي بأن يظاهر المرء أخاه ويعينه على فعل الخيرات ، وعلى طاعة الله عز وجل ، ويجنبه معصيته ، والتعاون في الحقيقة واجب ديني وضرورة اجتماعية اقتضت سنة الله أن لا تقام هذه الحياة على المعاونة والمشاركة مع اتخاذ الناس بعضهم لبعض سخريا ، فالتعاون حاجة ضرورية ملحّة لا يمكن أن يستغني عنها الفرد ، بل المجتمع لا يمكن أن يتأسس بدونها ، فإذا تم هذا التعاون تمكن الإنسان من القيام بمهمة الاستخلاف وعمارة التي خلق

(١) الماوردي ، أدب الدنيا والدين ، فصل في البر ، ٢٠٢/١ .

من أجلها ، وقد دعا إليه القرآن الكريم . " وتعاونوا على البر والتقوي ولا تعاونوا على الإثم والعدوان " وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم إعانة ذا الحاجة صدقة [1] . كما أمر صلى الله عليه وسلم بمعاونة المظلوم على استراد حقه ، والوقوف في وجه الظالم ومنعه عن ظلمه [2] . وللتعاون على الخير والصلاح والبر والتقوى فوائد كثيرة منها : إمكان إنجاز الأعمال الكبيرة التي لا يقدر عليها الأفراد ، وشعور الفرد بالقوة ونزع شعور العجز من نفسه ، وقدرته على مواجهة الأخطار المحدقة به ممن حوله من الإنسان والحيوان ، وهو أساس التقدم والإنتاج والنجاح والتفوق ، وسبب من أسباب الألفة والمحبة بين الناس .

**٥- الأمانة :**

ومن القيم الإنسانية النبيلة الفاضلة : الأمانة ، وإن المجالات التي تدخل فيها الأمانة كثيرة منها : الدين ، والأعراض ، والأموال ، والأجسام ، والأرواح ، والمعارف ، والعلوم ، والولاية ، والوصاية ، والشهادة ، والقضاء ، والكتابة ، ونقل الحديث والأسرار ، والرسالات ، والسمع والبصر ، وسائر الحواس ، ولا يستقيم أمر المجتمع إلا بالأمانة ، ولذا يأمر القرآن بالاتصاف بالأمانة ، والترغيب في حفظها وأدائها ، والتحذير من تضييعها أو التفريط فيها ، ومن ذلك قوله تعالى : "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا " (النساء : ٥٨) ، إنما الأمانة من كمال الإيمان ، وبها يُحفظ الدين ، والأعراض ، والأموال ، والأجسام ، والأرواح والمعارف والعلوم ، وبها تتحقق الوصاية والشهادة والقضاء والكتابة وغيرها .

**٦- المسئولية :**

ومن القيم الإنسانية النبيلة : المسئولية ، المسئولية حالة يكون فيها الإنسان صالحاً للمؤاخذة على أعماله وملزما بتبعاتها المختلفة ، وقد قرّر القرآن الكريم هذه المسئولية في آيات كثيرة ، منها قوله تعالى : "أفحسبتُم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا تُرجعون " ، وقول الله عز وجل " أيحسب الإنسان أن يترك سدى " ، وقول الله تعالى " هذا كتابنا

(١) البخاري : باب على كل مسلم صدقة ، حديث: ١٤٤٥ .
(٢) البخاري : باب أعن أخاك ظالما أو مظلوماً ، حديث: ٢٤٤٤ .

ينطق عليكم بالحق ، إنا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون " ، فمن المسئوليات الكثيرة المسئولية الدينية ، وهي التزام المرء بأوامر الله تعالى ونواهيه ، والمسئولية الاجتماعية : وهي التزام المرء بقوانين المجتمع ونظمه وتقاليده ، والمسئولية الأخلاقية : وهي كل مسئولية قبلناها ، وارتضينا الالتزام بها ، فهي مسئولية أخلاقية ، وللمسئولية فوائد منها : الشعور بوجوب أداء الأمانة أمام الله وأمام الناس ، والاخلاص في العمل والثبات عليه ، كسب ثقة الناس واعتزازهم بالشخص المسئول ، يشعر الشخص المسئول بسعادة تغمره كلما قام بتنفيذ عمل نافع ، تجعل بنيان الدولة قوياً غير قابل للتصدع عند التعرض للمحن والحروب ، الشعور بالمسئولية تجعل للإنسان قيمة كبيرة في مجتمعه .

٧- الصدق :

ومن القيم الإنسانية الفاضلة التي حثّ عليها القرآن وهو الصدق ، وقد أمر الله تعالى بالصدق فقال : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ " (التوبة : ١١٩) وقال في موضع آخر أخبر الله تعالى أنه لا ينفع العبد ولا ينجيه يوم القيامة إلا صدقه ، فقال تعالى : " قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ " (المائدة : ١١٩) وللصدق فوائد جمة ، وهو طريق الجنة ، والصادقون يحبهم الناس ويثقون بهم ويأتمنونهم في سائر معاملاتهم ، والصدق يرفع الأعمال ويعلي شأنها ، وهو محشور مع الصادقين والشهداء والصالحين .

وهذا بعض القيم الإنسانية الفاضلة التي رغّب فيها القرآن ، وحث عليها ، وجاء بها ، والمسلم ينطلق من تلك القيم وغيرها في تعامله مع الآخرين مسلمين أو غير مسلمين ، إنه ينطلق في تعامله مع الآخرين من خلال قيم ثابتة ، ومبادئ عادلة سامية ، وأخلاق فاضلة .

**المصادر والمراجع :**


١- القرآن الكريم .
٢- محمد بن اسماعيل البخاري ، صحيح البخاري .
٣- العلامة ابن تيمية ، مجموع الفتاوي : ، ١١١ ، ١٨٤ ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المملكة العربية السعودية .
٤- الماوردي ، أدب الدنيا والدين ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٨٦م .

# الفوائد الصحية للوضوء في الإسلام

( الحلقة الثانية الأخيرة )

د/ يوسف محمد الندوي [1]

قد وصل الدارس فى هذا البحث إلى منافع صحية غزيرة وفوائد طبية كثيرة لغسل كل عضو من الأعضاء التى ينظف المسلم عند وضوئه بعضها كما يلي :

١ - تقوية القلب :

القلب عضو رئيسي فى جسم الإنسان كل وقت هو يتحرك ويعمل ؛ لايزال قلب الإنسان مشغولا من منذ نشأته جنينا إلى وفاته ميتا ليس له الاستراحة حتى فى نوم الإنسان الذى هو وقت الاستراحة لسائر الأعضاء ، ومن الأعمال الشاقة للقلب إيصال الدم إلى الوجه والكفين والرجل بوقوعها بعيدا عنه ، وعندما يتوضأ الإنسان ينجذب الدم إلى هذه الأعضاء بتغير توازن الحرارة بمس المياه الباردة ، لذا أن الوضوء يساعد القلب أيضا في مهمته ، ويريحه من أعباء العمل .

وهكذا يحصل بالوضوء البرد والحيوية للأعصاب الموجودة في اليدين والقدمين وسائر الأعضاء المغسولة بماء الوضوء ، وبارتباط هذه الأعصاب بالوريد الرئيسي في المخ يجد الإنسان أيضا النشاط بعد الوضوء ، ويخفف به إمكانية حدوث الهم والغم والقلق والتوتر ويدفعها عنه جزئيا ، وجدير بالذكر هنا قول رسول الله صلى عليه وسلم عن التوضأ عند الغضب ( الغضب من الشيطان وإن الشيطان من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ [2] ) لأن الوضوء يبرد النفس والمخ والجسم ويحدد نبض القلب الشديد الحادث بسبب الغضب ويحمى مرضى القلب من إصابة النوبة بسبب الخوف والغضب .

وبصب المياه إلى الوجه يكثر جريان الدم إلى الرأس يفيق المغمى عليه برش الماء على وجهه ، ويشفي دوران الرأس من الذين يعانون بعوز

---

[1] الأمين العام : رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، فرع ولاية كيرلا .

[2] مسند أحمد ، رقم الحديث : : ١٧٣٠٢ .

الدم وضغطه عند الوضوء بما يبلل العين والأذن والأنف واللسان . يشتد جريان الدم إلى أعصاب هذه الحواس وينشطها ، كما صار صب الماء الصافي في العين طريق علاج لأمراض العين بإزالة القذر والغبار من العين ، كذا ينصح وضع القطن المبلل على جبهة المحمي لكي يحفظه من شدة الحرارة ، إن الذين يشتغلون بأعمال عقلية شاقة تجري إلى دماغهم دم كثير ويمكث فيه ساخنا ، يجد هؤلاء راحة روحية واطمئنانا قلبيا بالوضوء لما تبرد دماء الدماغ . كل هذا دليل لقدرة الوضوء لجعل الإنسان واعيا يقظانا قبل الصلاة .[1]

**ب . تقوية الدورة الدموية :**

وعندما يسخن الدماء في أعضاء الباطنية للجسم يسيل الدم إلى الجلد لتبريده بالعرق وإذا ارتفعت درجة الحرارة للجسم من قدره المتوسط المتحمل فلا بد تبريده كما يبرد ماكينة السيارات بالمياه أو الهواء ، ويعتمد الجسم لهذا الغرض طريقا طبيعيا هو العرق ، ولكنه غير كافٍ في جميع الحالات الساخنة ، هنا تظهر ميزة الوضوء ، بقدرته الهائلة لتبريد الجسم ، وإذا شرب المتوضأ بعد الوضوء قليلا من ماء الوضوء حسب آراء الفقهاء فيتمكن من تبريد الجسم من الداخل والخارج .

وجدير بالذكر هنا أن المياه لا يتسخن كما يتسخن الهواء لذا تبقي المياه باردة في الحالة الساخنة للجسم والجو[2] ، وعندما يتوضأ الإنسان بالماء البارد ينقلب جميع الأعراض المذكورة بسبب الحرارة وينتعش الجسم من التعب ، ثم عند القيام إلى الصلاة بالركوع والسجود تزيل العقبات والمشاكل المرتبطة بجريان الدم .

يعد وزن جلد الإنسان ٢ كيلو جرام تقريبا ، حينما يرتفع حرارة الجسم يزيد تيار الدم إلى الجلد بقدر ٣٤ لتر في الدقيقة ، وفي الحالة الباردة تنخفض هذه إلى ٥٠ ملي لتر في الدقيقة ، يدل هذا أن الدم يجري إلى الجلد عند الحرارة بقدر هائل بالنسبة إلى البرودة . إذا جري الدم إلى عضو خاص من الجلد يقل جريه إلى سائر الإنحاء كإرسال المصادر العسكرية كاملة إلى الحدود أيام الحروب ، وعند ما يتوضأ المرء يتبرد

---

[1] د / عبد الشكور عبد اللطيف ، العلمية فى الصلاة : ١٠ .

[2] د/ إى إى أى شكور ، الصلاة وفوائدها الصحية : ٢٣ .

الدماء الجارية إلى الجلد ويرجع إلى القلب بسرعة بسبب تقلص العروق بسبب البرد[1] ، كما يزيل ماء الوضوء الملوثات والنفايات التي وصلت خارج الجلد عبر العرق ،ومع ذلك ينفعل الجسم صحة كاملة بمس الماء البارد عليه تبريد الدم ووصوله إلى الدماغ .

وفي حالة الطقس الباردة الشديدة تحدث التغييرات المذكورة بالعكس ،ويقل تيار الدم إلى الجلد بانقباضه ، ويكون الغشاء الخارجي للجلد مجففا بعدم تفاعل غدة سبيشيس ، وتتقلب عملية الهرمونية خلال أيام الصيف وتزداد خزانة الطاقة في الجسم ، ولكن إذا كان البرد ما بين ٥ – ١٠ درجة مئوية تتسع العروق قليلا في الوجه واليدين والرجلين والأذنين حتى يمكن الوضوء بالماء غير الساخن أيضا .

وفي حالة الطقس التي تبلغ درجة الحرارة بين ٢٥ – ٣٠ درجة مئوية يكون جري الدم إلى الجلد بمعدل ١٠ – ١٥ ملي لتر لمائة جرام ، ولكنه يكون في الكفين والقدم والوجه والأذنين بمعدل ٣٠ ملي لتر ، يكون توسع العروق في الجلد تحت سيطرة الأعصاب السمبتاوي ، وأما الأعضاء المغسولة بالوضوء مثل الكفين والقدمين والوجه والأذنين لها علاقات متينة بالعروق والشرايين ، كما أنها غير مستورة بالثياب لذا يجري الدم إلى هذه الأعضاء أكثر مما يجري إلى سائر أنحاء الجلد ، بمقدار ٧٠ – ٨٠ ملي لتر لمائة جرام .[2]

يكون أثر الوضوء الصحي عظيما بما يمس الماء هذه المنطقة التي لها علاقة بالعروق والشرايين الدموية ، فلذا يبرد الجسم بمس الماء على أعضاء الوضوء أكثر مما يمس في سائر الأنحاء ، وفي الجملة أن للوضوء أهمية مثل الغسل في نظر علم الجسم كما يظهر هنا حكمة مسح الأذنين أيضا بالماء حيث يعده الفقه الإسلامي ارتفاع الحدث الأصغر كما يعد الغسل الواجب ارتفاع الحدث الأكبر .

**ت . وقاية من سرطان الجلد :**

إن الطب الوقائي الحديث مازال يبحث في تأثيرات عملية الغسل المتكررة لأجزاء الجسم المكشوفة التي أكد أنها وقاية فعالة للطبقة

---

[1] والمرجع نفسه : ٢٥ .

[2] والمرجع نفسه : ٢٦ .

الخارجية للجلد ومنع الميكروبات الضارة من الوصول إلى داخل الجسم ، فمن الواضح لكل من يفكر أن هذه العملية الوقائية توجد بتكرار غسل الأعضاء المكشوفة بالماء الطهور فيقلل الوضوء احتمال حدوث سرطان الجلد

إن الدراسات المتعلقة بأسباب الإصابة بسرطان الجلد تبين أن الغالبية العظمى من حالات الإصابة ، تكون نتيجة تعرض الجلد للمواد الكيميائية ، وخاصة الناتجة عن صناعة البترول – البتروكيماويات - وإن أفضل طرق الوقية هي إزالة تراكمات هذه الكيماويات من سطح الجلد تدريجيا عن طريق الغسل المتكرر الذي يقلل من تأثير هذه المواد على خلايا الجلد الذي يؤدي على المدى الطويل إلى حدوث تغيرات سرطانية . أكدت المشاهدات الطبية لعمال المناجم وصناعة المعادن أنهم معرضون للإصابة بأورام سرطانية في الرئة والأنسجة الليمفاوية والكلي والمثانة وكل هذه الحالات تنشأ فيها الأورام السرطانية نتيجة لتسرب المواد الكيميائية إلى الجسم عن طريق الجلد ؛[1]

بالإضافة إلى أن الوضوء هي تطهير سطح الجلد من الأجزاء المكشوفة من الجسم ( الوجه واليدين والقدمين والأذنين والرأس ) والمعرضة دائما لأشعة الشمس ، وخاصة الأشعة فوق البنفسجية التي ربما تعرض الإنسان للإصابة بسرطان الجلد

ومن هنا نلاحظ أن الوضوء بالماء الطاهر خمس مرات يوميا يعمل على ترطيب سطح الجلد مما يتيح لخلايا الطبقة الداخلية للجلد الوقاية من التأثيرات الضارة للأشعة الشمس ، ومن الجدير بالذكر في هذا المجال أن الإحصاءات العلمية تبين أن الإصابة بسرطان الجلد هي أكثر أنواع السرطان شيوعا بين الرجال في المجتمع الغربي ،وخاصة في الولايات المتحدة وأستراليا إلا أن هذا النوع من الأمراض الجلدية في الدول الإسلامية قلة قلائل ؛ بالرغم من قوة الأشعة الشمسية في معظم الدول الإسلامية أشد من الدول الأخرى [2] وهذا يرجع إلى فضيلة الوضوء ووقايتها من الأمراض الجلدية المؤدية إلى سرطان الجلد .

إن غسل الأعضاء المكشوفة أثناء عملية الوضوء خمس مرات

---

[1] مختار سالم ، الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع :٢٥٢- ٢٥٣ .

[2] والمرجع نفسه : ٢٥٣ .

يوميا ، لا شك أنه يؤدي إلى خفض درجة حرارة الجسم ، وتساعد في خفض ضغط الدم العالي ، وفي الوقت ينظم عمل الدورة الدموية ، ويزيل التوترات العضلية والعصبية وتنظم عمل القلب وحركة النبض وسرعة دوران الدم الوريدي

**ث . غسل اليدين يمنع الأمراض المعدية :**

من الأعضاء الجسمية التى هي أكثر تعرضا لنقل الجراثيم والميكربات اليدان فى مثل وقت مصافحة الآخرين ، أو عند نقل طعام ملوث أو مواد كيميائية أو صناعية ، أو نقل القمامة و النفايات الضارة أو لمس أشياء ملوثة كما هو الحال بين قضاء الحاجة أو عند البيع والشراء وسائر المعاملة الإنسانية .

إن معظم الجراثيم تختبىء تحت الأظفار وبين ثنايا الأصابع وخاصة الديدان الخيطية (اكسورس) . ويمكن أن تدخل إلى الجهاز الهضمي بسهولة بالغة في حالة عدم غسل الأيدي فتتكاثر ، وتسبب المزيد من المتاعب والأمراض للإنسان[1] .

قد اتضح علمياً أن أكثر الميكروبات الضارة وجراثيم الأمراض التي تصيب الإنسان عن طريق اختراقها للجلد ، وإن طفيليات الديدان أيضا تدخل عن طريق تسربها من جلد الإنسان ، ومن أهم الأمراض التي تنتقل عن طريق اليدين هي التيفود والدوسنتاريا والنزلات المعوية[2] .

**ج . المضمضة تحفظ عن أمراض الفم والجهاز الهضمي :**

إن المضمضة تحفظ الفم والبلعوم من الالتهابات ومن تقيح اللثة وتقي الأسنان من النخر بإزالة الفضلات الطعامية التي قد تبقى فيها ؛ فقد ثبت علميا أن تسعين في المأة من الذين يفقدون أسنانهم لو اهتموا بنظافة الفم لما فقدوا أسنانهم قبل الأوان ، وأن المادة الصديدية والعفونة مع اللعاب والطعام تمتص المعدة وتسري إلى الدم . ومنه إلى جميع الأعضاء وتسبب أمراضا كثيرة . وأن المضمضة تنمي بعض العضلات في الوجه وتجعله مستديرا وهذا التمرين لم يذكره من أساتذة الرياضة إلا القليل

---

١ والمرجع نفسه : ٢٥٤ .

٢ ، ٦٩ medicel offiec , thiruvanantha purem ، الأمراض المنتشرة وطرق وقايتها .

لانصرافهم إلى العضلات الكبيرة في الجسم .[1]

من التعاليم الصحية الإسلامية أنه لا تجوز الصلاة وفي الفم بقايا طعام ولكن يجب أن يغسل المسلم فمه ، ويتمضمض ثلاث مرات ، حتى يخرج بقايا الطعام التي إذا بقيت ، وخاصة فضلات الطعام النشوية والسكرية حيث هي تتعفن وتسبب للروائح الكريهة وتتكاثر الجراثيم الضارة فتصاب اللثة بالالتهابات والجيوب الصديدية وتسوس الأسنان وغير ذلك من الأمراض التي تنتقل إلى الجهاز الهضمي أيضا .

و يعتبر غسل الفم ثلاث مرات في كل وضوء مع الاستياك من أفضل الطرق لإزالة بقايا الطعام من بين الأسنان ، ومن أهم الأسس الوقائية لأمراض الفم ، مع العلم بأن المضمضة في حد ذاتها بالماء العادي النظيف تفوق أقوى المعاجين الطبية .

**ح . الاستنشاق دافع الدفتريا والجيوب الأنفية :**

جاء الحديث النبوي بعادة الاستنشاق في الوضوء الإسلامية هي التي لم يكن تعرفها البشرية من قبل ، أثبت العلم الحديث بعد الفحص الميكروسكوبي للمزرعة الميكروبية التي عملت للملازمين في الوضوء ولغير الملازمين أن الذين يتوضؤون باستمرار قد يكون الأنف عند غالبيتهم نظيفا طاهرا خاليا من الميكروبات ولذلك جاءت المزارع الميكروبية التي أجريت لهم خالية تماما من أي نوع من الميكروبات في حين أصبحت أنوف من لا يتوضؤون مزارع ميكروبية ذات أنواع متعددة وبكميات كبيرة من الميكروبات الكروية العنقودية الشديدة العدوى . والكروية السجية السريعة الانتشار . . والميكروبات العضوية التي تسبب العديد من الأمراض ، وقد ثبت أن التسمم الذاتي يحدث من جراء نمو الميكروبات الضارة في تجفيف الأنف ومنهما إلى داخل المعدة والأمعاء ومن أحداث الالتهابات والأمراض المتعددة ولاسيما عندما تدخل الدورة الدموية .[2]

يقول الحديث النبوي للاستنشاق بالماء ثلاث مرات عند كل وضوء وهذه السنة النبوية لها مغزاها الطبي الإبداعي في الوقاية ، لأنه أثناء

[1] موسوعة الإعجاز العلمي :٩٣٢- ٩٣٣ .
[2] موسوعة الإعجاز العلمي :٩٣٢ .

عملية التنفس الصحي من الأنف المحتوي على الحواجز الغضروفية المكسوة بغشاء مخاطي لزج وكمية من الشعر الناعم عند مدخل الأنف يحتجز بها الكثير من الأتربة والجراثيم ، وعن طريق عملية الاستنشاق أثناء الوضوء وتكرارها ثلاث مرات تجرف معها تلك الميكروبات والجراثيم إلى الخارج ، ومن المعروف أن معظم الأمراض مثل الإنفلونزا وشلل الأطفال والدفتريا والتهابات الجيوب الأنفية وحالات الزكام ، وغيرها من الأمراض يصل فيها الميكروب عن طريق الأنف والحلق أولا ، ثم ينتقل إلى داخل الجسم ويصيبه بالمرض وهذا هو الإبداع الطبي في حكم الاستنشاق أثناء الوضوء لتخليص الأنف من تلك الجراثيم والأمراض .[1]

أظهر بحث علمي حديثا أجراه فريق من أطباء جامعة الإسكندرية أن غالبية الذين يتوضؤون باستمرار قد بدا أنفهم نظيفا خاليا من الأتربة والجراثيم والميكروبات ومن المعروف أن تجويف الأنف من الأماكن التى يتكاثر فيها العديد من هذه الميكروبات والجراثيم ولكن مع استمرار غسل الأنف والاستنشاق والإستنثار بقوة أي طرد الماء من الأنف بقوة يصبح هذا التجفيف نظيفاً من الالتهابات والجراثيم مما ينعكس على الحالة الصحية للجسم كله حيث تحمى هذه العملية الإنسان من خطر انتقال الميكروب من الأنف إلى الأعضاء الأخرى في الجسم .[2]

**خ . غسل الوجه والتراخوما وشوائب البشرة :**

إن غسل الوجه واليدين والقدمين له دور هام في إزالة الغبار وما يحتوي عليها من الجراثيم فضلا عن تنظيف البشرة من المواد الدهنية التى تفرزها الغدد الجلدية بالإضافة إلى إزالة العرق ، ومن الواضح أن الميكروبات لا تهاجم جلد الإنسان إلا إذا أهمل نظافته فإن الإنسان إذا مكث فترة طويلة بدون غسل أعضائه ، فإن إفرازات الجلد المختلفة من دهون وعرق تتراكم على سطح الجلد محدثة حكة شديدة وهذه الحكة بالأظفار التى غالبا ما تكون غير نظيفة تدخل الميكروبات إلى الجلد .

---

١ مختار سليم ، الطب الإسلامي : ٢٥٥ .

٢ الدكتور النابلسى ؛ الإعجاز العلمي ، موسوعة الإعجاز العلمي ، ص ٩٣١ .

يستطيع الإنسان المتوضئ أن يزيل ما علق من غبار وجراثيم من وجهه على الأقل خمس مرات بالغسل المتكرر بثلاث مرات في كل مرة فينال نظافة العينين ، وعدم الإصابة بالرمد الحبيبي – تراخوما – أو الرمد الصديدي أو التهابات العينين ، وهذا بجانب صفاء البشرة ، وتنشيط خلايا الوجه الذي هو مرآة للإنسان فيبدو المسلم دائما بوجه صبوح وضاء .[1]

د . مسح الأذن واختلال السمع والتوازن :

الأذنان من الأعضاء المكشوفة التى تتعرض للغبار والميكروبات رغم ذلك الأذنان يفرزان المواد اللحمية أيضا يستطيع الملاحظ أن يرى في السنة المحمدية التي تأمر بمسح الأذنين إبداعا طبيا آخر يستطيع المتوضأ لإزالة المواد الشحمية الزائدة في الأذنين وما يتراكم عليهما من غبار أو قاذورات داخلية ربما تؤدي إلى انسداد الأذن أو إصابتها بالالتهابات التي قد تنتقل إلى الأذن الداخلية وتسبب ضعف السمع ، أو اضطراب توازن الجسم ، نظرا لوجود مركز توازن الجسم في الأذن الداخلية .

ذ . مسح الرقبة والرأس والصداع وضغط الدم :

حينما يأمر القرآن بمسح الرأس والحديث يشرح كيفية هذه العملية ويحددها ، ذلك مسح الرأس كله كما يجيئ في الحديث التالي :

عن الربعي بنت معوذ بن عفراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ عندها فمسح الرأس كله من فوق الشعر كل ناحية .[2]

يستطيع المتوضئ لإزالة الأتربة المتراكمة الممزوجة بالعرق والإفرازات الأخرى من الشعر ، وكان من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم مسح الرقبة وخاصة المنطقة خلف الرقبة التى تفيد لإزالة الغبار والإفرازات العرقية .

نتيجة لغسل هذه المناطق يستطيع المتوضئ أن يحتفظها من عدم الإصابة بالالتهابات والأمراض الجلدية علاوة على تأثيرات حسنة للماء البارد على نشاط الإنسان وحيويته وإزالة حالات الصداع والتعب العقلي أيضا .

---

[1] مختار سليم : الطب الإسلامي بين العقيدة والإبداع : ٢٥٥ .

[2] سنن أحمد ، رقم الحديث: ٢٥٧٨٢ .

ر . غسل القدمين والأمراض الجلدية :

إن الحكمة الطبية في ضرورة نظافة القدمين ترجع إلى أن قدم الإنسان يكون ألصق بالأرض والتراب من سائر الأعضاء الإنسانية ، فمن المحتمل أن يكون مستعرضا على البكتيريا أو القاذورات عند المشي في أماكن ملوثة ، أو غالبا يكون داخل الأحذية وخاصة أثناء حالات الطقس الحارة فيمكن كثرة إفرازاتها ، ونظرا لأن هذا المكان دافيء ، ورطب تتكاثر الجراثيم بداخله ، وتنبعث منه رائحة كريهة يتقزز منها الإنسان ، وبتكرار غسل القدمين واتباع السنة المحمدية الطاهرة ( التي يقول فيها الحديث النبوى : " إذا توضأت فخلل أصابع يديك ورجليك "[1] يستطيع المتوضئ إزالة الميكوربات والجراثيم التي تجمع وتنمو بين ثنايا أصابع القدمين ، وتسبب الأمراض الجلدية مثل التينيا والروائح الكريهة وحالات الجرب وغيرها ؛ وبذلك يكون الوضوء أفضل وقاية من الأمراض الجلدية .

ز . الوضوء شفاء لعدة أمراض :

ففي الوضوء الذي يراق فيه الماء على الوجه واليدين خمس مرات تقريبا في اليوم والليلة لما يقبض العروق الشعرية السطحية الجلدية أولا ، ثم تعود منبسطة إلى حالتها الأولى ، وبهذا القبض والبسط تزداد حركة القلب وتنشط المبادلات في الجسم وتقوى حركات التنفسية ويزيد في استنشاق الأوكسوجين دفع الكاربون وبذلك يحصل تنبه الأعصاب المدركة المحركة ثم يسري هذا التنبيه إلى جميع الأعصاب القلبية والرئوية والمعدية .

قال الدكتور أحمد شوقي إبراهيم استشاري للأمراض الباطنية والقلب وعضو الجمعية الطبية الملكية بلندن :

توصل العلماء إلى أن سقوط أشعة الضوء على الماء أثناء الوضوء يؤدي إلى انطلاق أيونيات سالبة ويقلل الأيونيات الموجبة مما يؤدي إلى استرخاء الأعصاب والعضلات ويتخلص الجسم من ارتفاع ضغط الدم والآلام العضلية وحالات القلق والأرق .[2]

---

١ سنن الترمذى ، رقم الحديث: ٣٦ .

٢ موسوعة الإعجاز الذهبية فى القرآن الكريم والسنة النبوية :٨٩٩ .

الفقه الإسلامي

# شبهات حول التمذهب الفقهي

## دراسة تطبيقية على المذهب الشافعي

( الحلقة الثانية )

الدكتور عبد الإله بن حسين العرفج

**٣. دعوى تعصب أتباع المذاهب الأربعة لأقوال أئمتهم على حساب الدليل :**

من الدعاوى التي زعمها معارضو التمذهب قضية تعصب أتباع المذهب الفقهي لأئمتهم والانتصار لأقوالهم على حساب الحق ، بمعنى أن العالم المذهبي يكافح وينافح عن أقوال أئمة المذهب ، ويصول ويجول في الدفاع عنها ؛ تعصبا لها وانحيازا معها ، ومن أجل ذلك يدفع ويرفض الدليل الشرعي .

والحقيقة أن هذه الدعوى لا يمكن أن تصدر إلا ممن لم يعرف ما يدور داخل البيت المذهبي،ويمكن أن نرد هذه الشبهة بأمرين: أحدهما التنظير والتأصيل،وثانيهما التطبيق والتمثيل .

**التنظير والتأصيل :**

ولنبدأ بالتأصيل قبل البدء في ذكر أمثلة وشواهد على تنزيه العلماء عن التعصب .

فأنقل هذا النص للفقيه ابن حجر الهيتمي رحمه الله ، قال في الفتاوى الفقهية (٣/٣) : " عدم المحاباة في الدين حتى لأكابر المجتهدين هو دأب ساداتنا العلماء العاملين ، كما يعلمه من وقف على النهاية - أي نهاية المطلب لإمام الحرمين - وأحاط بقولها : هذه زلة من الشيخ - أي والد إمام الحرمين - ، مع بلوغه في الاجتهاد والولاية الغاية ، حتى قيل في ترجمته : لو جاز أن يبعث الله نبيا في زمن أبي محمد الجويني لكان هو ذلك النبي ، ومن هنا قال بعض أكابر أئمتنا : إن عدم محاباة العلماء بعضهم لبعض من أعظم مزايا هذه الأمة التي أعظم الله بها عليهم النعمة ، حيث حفظهم عن وصمة محاباة أهل الكتابين ، المؤدية إلى تحريف ما فيهما ،واندراس تينك الملتين ، فلم يتركوا لقائل قولاً فيه أدنى دخل إلا بينوه،ولا لفاعل فعلا فيه تحريف إلا قوّموه،حتى اتضحت الآراء،

وانعدمت الأهواء ، ودامت الشريعة الواضحة البيضاء على امتلاء الآفاق بأضوائها ، وشفاء القلوب بها من أدوائها ، مأمونة من كيد الحاسدين وسفه الملحدين ، فضراعة إليك اللهم أن تديم لها ذلك على توالي الأعصار، وأن تؤيد أهلها بدوام الجلالة الباهرة والحفظ من الأغيار ، إنك الجواد الكريم الرءوف الرحيم " .

**التطبيق والتمثيل :**

إن التطبيق خير شاهد ، ولو ذهبت أتتبع استدراك بعض علماء المذهب على بعض لطال المقام جدا ، ولكنني سأستشهد بأربعة أنواع من الاستدراكات :

أولها استدراك علماء المذهب على إمامه ، ثانيها استدراك الأبناء على آبائهم ، ثالثها استدراك التلاميذ على شيوخهم ، ورابعها استدراك بعض علماء المذهب على بعض ، وقد اخترت هذا الترتيب؛ لأن مكانة إمام المذهب والأب والشيخ أوقع وأرسخ في النفس من مكانة غيرهم .

**أ . أمثلة من استدراك علماء المذهب على إمامهم**

وإليكم بعض النماذج :

الإمام الشافعي – كغيره – إمام متجدد ، فمن المسائل التي رجع عنها :

- طهورية الماء المستعمل فالجديد طهارته والقديم طهوريته .
- والأذان للمنفرد في صحراء ، فالجديد استحبابه والقديم عدمه .
- وإعادة الصلاة لمن في ثوبه نجس جهله ، فالجديد وجوبها والقديم صحتها .
- وتقدم المأموم على الإمام في الموقف ، فالجديد بطلان صلاته والقديم صحتها .
- والجمع تأخيرا في الحضر بسبب المطر ، فالجديد منعه والقديم جوازه .
- والسفر يوم الجمعة قبل زوال الشمس ، فالجديد حرمته والقديم جوازه . ومع رجوعه عن عدد من المسائل إلا أن أصحابه عدوا بعض ما رجع عنه صوابا ، وتبلغ ١٨ مسألة ، وأوصلها بعضهم إلى ٣٣ مسألة ، منها :
- التثويب – الصلاة خير من النوم – في أذان الصبح فالقديم استحبابه .

- وآخر وقت المغرب فالقديم أنه إلى غروب الشفق ، وقد علق الحكم به على صحة الحديث .
- والأذان للفائتة فالقديم أنه يؤذن لها .
- والصوم عن الميت فالقديم جوازه ، وقد علق الحكم به على صحة الحديث .
- واشتراط التحلل من الإحرام بسبب المرض فالقديم جوازه .
- وأختم بمثال يُتوي على مناقشة ، يرى الإمام الشافعي رحمه الله أنه يستحب أن يكون الذكر والدعاء بعد الصلاة سرا للمأموم والمنفرد ، ولكن الإمام يجهر بهما إذا كان المأمومون بحاجة إلى التعليم ، فإذا تعلموا الأذكار والأدعية المستحبة بعد الصلاة أسرَّ الإمام ، ولكن الإمام الأذرعي رحمه الله نقل عن الإمام المتولي رحمه الله ما يقتضي استحباب رفع الجماعة الصوت بالذكر دائما ، وهو ظاهر الأحاديث ، ثم قال : " وفي النفس من حملها على ما ذكره - أي الإمام الشافعي رضى الله عنه - شيء " .

**ب . أمثلة من استدراك الأبناء على آبائهم**

وإليكم بعض النماذج :

- يرى إمام الحرمين الجويني رحمه الله إجراء الخلاف في جواز تفريق الصفقة في بيع ما يجوز وما لا يجوز ، كبيع خل وخمر ، أو بيع شاة وخنزير ، سواء كان المشتري عالما أو جاهلا ، ثم قال : " هذا الذي قاله شيخي أبو محمد غير سديد ، بل الوجه طرد القولين " ، يعني به شيخه ووالده أبا محمد عبدالله بن يوسف رحمه الله ، حيث يرى أن البيع يبطل في حالة العلم ببيع ما لا يجوز بيعه ، أما في حالة جهله فيجري الخلاف ، ثم عقب النووي رحمه الله على هذا بقوله : " واختار الغزالي قول أبي محمد وهو شاذ " .
- يرى التقي السبكي رحمه الله عدم وجوب التوبة من الصغائر ما دام مجتنبا للكبائر ؛ لأنها تكفرها ، نقل هذا البناني رحمه الله ، فقال : " توقف السبكي في وجوبها من الصغيرة عينا ؛ لتكفيرها باجتناب الكبائر ، وهو يقتضي أن الواجب لها التوبة واجتناب الكبائر ، وخالفه ابنه المصنف - يعني التاج السبكي -

فقال : الذي أراه وجوب التوبة لها عينا على الفور " .

**ج . أمثلة من استدراك التلاميذ على مشايخهم**

وإليكم بعض النماذج :

- يرى العلامة ابن حجر الهيتمي رحمه الله أن من عليه جنابة ، فاغتسل ناويا الوضوء أو رفع الحدث الأصغر ، أن الحدث الأصغر يرتفع عنه ولو غسلها مخالفا الترتيب ، ثم قال : " خلافا لشيخنا ومن تبعه " ، يعني به القاضي زكريا الأنصاري رحمه الله ، حيث يرى وجوب غسل أعضاء الوضوء بالترتيب .
- يرى الشيخ زين الدين المليباري رحمه الله استحباب جلسة الاستراحة للمأموم وإن تركها الإمام ، ثم قال : " خلافا لشيخنا " ، يعني به العلامة ابن حجر الهيتمي رحمه الله ، حيث يرى كراهية فعلها للمأموم إن تركها الإمام .
- يرى العلامة محمد الرملي رحمه الله أن من صلّى خلف الصف منفردا فإنه يستحب له إعادة الصلاة ولو منفردا ، ذكر ذلك القليوبي رحمه الله ، ثم قال : " كما قاله شيخنا وفيه نظر " ، حيث يرجح القليوبي أن إعادة الصلاة منفردا لا تندب إلا لمن جرى خلاف في بطلان صلاته .

**د . أمثلة من استدراك بعض علماء المذهب على بعض**

وإليكم بعض النماذج :

- نقل النووي رحمه الله مناقشة فكرية موسعة أخرى حول المجتهد في طهارة الماء في إناءين اشتبها عليه ، فغلب على ظنه طهارة أحدهما ، فتوضأ وصلى ، ثم أعاد الاجتهاد ثانية ، فغلب على ظنه طهارة الثاني ، فالمذهب أنه لا يتوضأ به ، ولكن يتيمم ويصلي ، وخالف أبو العباس بن سريج ، فذهب إلى وجوب الوضوء من الثاني ، فقال النووي : " واتفق جمهور أصحابنا المصنفين في الطريقتين على أن الصواب والمذهب ما نقله المزني في حرملة ، وأن ما قاله أبو العباس ضعيف ، وضعفوه بما ضعفه به المصنف ، وهو ظاهر ، قال الشيخ أبو حامد في تعليقه : أبَى أصحابنا أجمعون ما قاله أبو العباس ، قال :وقالوا :هذا من زلات أبي العباس ، قال : قال أبو الطيب بن سلمة : ما غلط المزني ؛ لأن

الشافعي نص على هذا في حرملة ، قال أبو حامد : لا يُحتاج إلى حرملة ، فإن الشافعي نص عليها في الأم في باب " الماء يشك فيه " ، وقال صاحب الحاوي : مذهب الشافعي وما عليه جمهور أصحابه أنه لا يجوز استعمال بقية الأول ، ولا يجوز استعمال الثاني ، وخالفهم أبو العباس ، وكذا قال المحاملي : خالف سائر أصحابنا أبا العباس في هذا ، وقالوا : المذهب أنه لا يتوضأ بالثاني ، فهذا كلام أعلام الأصحاب ، وقد جزم جماعة من المصنفين بالمنصوص ، منهم القاضي حسين والبغوي وآخرون ، ولم يعرّجوا على قول أبي العباس ؛ لشدة ضعفه ، وشذ الغزالي عن الأصحاب أجمعين ، فرجح قول أبي العباس ، وليس بشي ، فلا يغتر به " .

- استحب الشيخ أبو طالب المكي رحمه الله والإمام الغزالي رحمه الله صلاة الرغائب وصلاة ليلة النصف من شعبان ، وقد استدرك عليهما الإمام النووي رحمه الله ، وحكم ببدعيتهما ، فقال : " الصلاة المعروفة بصلاة الرغائب ، وهي ثنتا عشرة ركعة ، تصلى بين المغرب والعشاء ، ليلة أول جمعة في رجب ، وصلاة ليلة نصف شعبان ، مائة ركعة ، وهاتان الصلاتان بدعتان ومنكران قبيحتان ، ولا يغتر بذكرهما في كتاب " قوت القلوب " و " إحياء علوم الدين " ، ولا بالحديث المذكور فيهما ، فإن كل ذلك باطل ، ولا يغتر ببعض من اشتبه عليه حكمهما من الأئمة ، فصنف ورقات في استحبابهما ، فإنه غالط في ذلك ، وقد صنف الشيخ الإمام أبو محمد عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي كتابا نفيسا في إبطالهما ، فأحسن فيه وأجاد " .

وعموما فلو تتبعنا استدراك بعض علماء المذهب الواحد على بعضهم لطال المقام جدا ،ولطالما قرأنا في كتب الفقه وشروحها وحواشيها عبارات دالة على تتبع الصواب والتنبيه على الخطأ ،مثل قولهم:" خلافا لشيخنا " أو" وفيه نظر " أو " فلا تغتر به " أو " هو قول شاذ " أو " هذه زلة " .

**٤. دعوى تفريق المسلمين أحزاباً وشيعاً ، كل حزب بما لديهم فرحون**

من الدعاوى التي أثارها معارضو التمذهب الفقهي أن المذاهب الأربعة قسمت المسلمين إلى فرق وأحزاب بعد أن كان الدين واحدا والشرع

واحدا والأمة واحدة ، ويبدو أن هذه المقولة ليست حديثة ، فقد قال الإمام السيوطي رحمه الله – في " جزيل المواهب في اختلاف المذاهب " : " اعلم أن اختلاف المذاهب في هذه الملة نعمة كبيرة وفضيلة عظيمة ، وله سر لطيف ، أدركه العالمون وعمي عنه الجاهلون ، حتى سمعت بعض الجهال يقول : النبي صلى الله عليه وسلم جاء بشرع واحد ، فمن أين مذاهب أربعة " ؟

**نماذج من نصوص تلك الدعوى :**

وستجد في بعضها من ينزل آيات التفرق على المتمذهبين بالمذاهب الأربعة ، وممن سلك هذا المسلك الإمام ابن القيم عفا الله عنه ، فقال – في " إعلام الموقعين " (٢/١٦٠) " الوجه الحادي والعشرون أن الله سبحانه ذم " الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون " ، وهؤلاء هم أهل التقليد بأعيانهم ، بخلاف أهل العلم ؛ فإنهم وإن اختلفوا لم يفرقوا دينهم ولم يكونوا شيعاً ، بل شيعة واحدة ، متفقة على طلب الحق ، وإيثاره عند ظهوره ، وتقديمه على كل ما سواه ، فهم طائفة واحدة قد اتفقت مقاصدهم وطريقهم ، فالطريق واحد ، والقصد واحد ، والمقلدون بالعكس ، مقاصدهم شتى ، وطرقهم مختلفة ، فليسوا مع الأئمة في القصد ولا في الطريق " .

وملخص كلام ابن القيم أن اختلاف أهل العلم مقبول ، وليس من تفريق الدين في شيء ؛ لأنهم يقصدون ويطلبون الحق ، أما أهل التقليد فاتباعهم لمذاهبهم غير مقبول ؛ لأنهم لا يقصدون الحق .

وكلام ابن القيم عفا الله عنه غير مقبول ؛ لأن المتمذهبين بالمذاهب الأربعة إن كانوا غير مؤهلين للاجتهاد فإنهم لا يسعهم إلا التمسك بمذاهبهم ، وإن كانوا من أهل الاجتهاد فلا يجوز لهم تقليد أي مذهب ، وإن كانوا في درجات بينهما فلهم أن يرجحوا ضمن المذهب الواحد ؛ لضرورة الانضباط بقواعد منهجية محددة .

ثم إنه تكلم عن أهل العلم ، وأنهم وإن اختلفوا فلم يفرقوا دينهم ، والسؤال : عندما يختلف أهل العلم ، فيقوم طلبته ومحبوه بالأخذ عنه ونشر علمه وجمع فتاواه ، ألن ينتج عن هذا مدارس ومذاهب لأولئك العلماء ؟

ومن النصوص أيضا أن الشيخ مقبل الوادعي ، سئل – في " إجابة السائل

على أهم المسائل " (٣١٧) عن المذاهب الأربعة ، فقال : " المذاهب الأربعة ما أنزل الله بها من سلطان ، وما ورد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ذاك يكون شافعياً وذاك يكون حنبلياً إلى آخر ذلكم ، بل قال الله سبحانه وتعالى : " وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله " ، . . . ، فهذه المذاهب فرقت الناس ، وقد تحدينا غير واحد من المتعصبين لهذه المذاهب أن يأتوا بدليل من كتاب الله أو من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدل على أن المسلم ملزم بالتعبد بمذهب من هذه المذاهب ، بل جاء القرآن على كراهة هذا ، فقال سبحانه : " إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء " ، ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم يقول : " افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة " ، . . . ، فهذه المذاهب فرقت الناس ، وأدخلت بينهم العداوة والبغضاء ، . . . ، وإننا نحمد الله سبحانه وتعالى ، فإن هذه اليقظة الإسلامية أصبحت لا ترفع رأسا لهذه المذاهب ، وقد عرف رجال اليقظة الإسلامية أن هذه المذاهب هي التي فرقت المسلمين ، وهي التي جعلتهم شيعاً وأحزاباً ، وهي التي صدتهم عن كتاب الله وعن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم " .

وكلام الوادعي يدل على تشويش في ذهنه عن صورة التشريع الإسلامي وغياب الرحلة التاريخية التي تنقل فيها الفقه يوما بعد يوم ، فهو يريد دليلا على وجوب التزام المذهب الشافعي مثلا ، ونحن قدمنا وجوب سؤال العلماء ، وقدمنا كلام ابن القيم أنه منذ أيام الصحابة تكونت مدرسة ابن مسعود ومدرسة ابن عباس ومدرسة ابن عمر وغيرهم ، فهذه المذاهب امتداد لهذه المدارس ، والأمر الخطير أنه يجعل المذاهب الأربعة ضمن الثلاث والسبعين فرقة التي ستكون في النار إلا واحدة منها ، ثم يفرح - عفا الله عنه - أن الصحوة الإسلامية لم تلتفت للمذاهب الأربعة ، وقد صدق ، ولذلك خرجت الفتاوى الشاذة التي أضحكت علينا الناس شرقاً وغرباً .

**أمثلة واقعية من تعامل فقهاء المذاهب بما يدل على الأخوة والمحبة فيما بينهم :**

سأنقل أدلة من التأصيل والتنظير الذي يؤكد حرص العلماء

– مهما اختلفت مذاهبهم الفقهية – على تعزيز الوحدة الإسلامية وترسيخ الروابط الأخوية ، وعدم التعصب للمذهب الفقهي على حساب أخوة المسلمين .

ومن أبرز تلك الأدلة التأكيد على أن المذاهب الفقهية على خير وهدى ، فقد سئل العلامة ابن حجر الهيتمي رحمه الله عن شافعي يحرص على تدريس المذهب الحنفي لصبي مميز ، ويوصيه بالتمسك به ، وإذا سئل شافعي عن التقليد بمذهب ، فهل عليه الأمر بالتزام مذهب إمامه أو يدله إلى مذهب آخر ؟ فقال – في " الفتاوى الفقهية " ( ٤/٣٢٥) : " الشافعي وأبو حنيفة ومالك وأحمد وسائر أئمة المسلمين على هدى من ربهم ،. . . ، وإذا كانوا كلهم على هدى من الله سبحانه وتعالى فلا حرج على من أرشد غيره إلى التمسك بأي مذهب من المذاهب الأربعة وإن خالف مذهبه واعتقاده ؛ لأنه أرشده إلى حق وهدى ، وتدريس الشافعي لكتب غير مذهبه لا يسوغ له إلا إن قرأ ذلك الذي يدرسه على عالم موثوق به من أئمة ذلك المذهب ، هذا إن أريد به تدريس المعتمد في ذلك المذهب ، وأما إن أريد منه مجرد فهم العبارة وتفهيمها فهذا لا محذور فيه " .

وقال الإمام الأسيوطي المنهاجي رحمه الله – في " جواهر العقود(٢/٢٨٨):

لا يجوز أن يُولّى القضاء من ليس من أهل الاجتهاد كالجاهل بطرق الأحكام عند مالك والشافعي وأحمد ، وقال أبو حنيفة : يجوز ولاية من ليس بمجتهد ،. . . ، وقال ابن هُبَيرة في الإفصاح : والصحيح من هذه المسألة أنَّ مَن شَرط الاجتهاد إنما عَنى به ما كان الحال عليه قبل استقرار هذه المذاهب الأربعة التي أجمعت الأمة على أن كل واحد منها يجوز العمل به؛لأنه مستند إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم،. . . ، وانتهى الأمر من هؤلاء الأئمة المجتهدين إلى تقرير ما أراحوا به مَن بعدهم، وانحصر الحق في أقاويلهم " .

وقال الإمام النفراوي – رحمه الله – في " الفواكه الدواني " (١/٢٤) : " يجب اعتقاد أن جميع المجتهدين على هدى حتى من هجر مذهبه ، وامتناع تقليد غير الأربعة إنما هو لعدم حفظ مذاهبهم ، فلا ينافي أن جميعهم على خير من الله وهدى ، وليسوا على ضلال ولا بدعة ، وحكم التقليد لواحد من أصحاب المذاهب الأربعة الوجوب حيث لم

يكن في هذا المقلّد أهلية الاجتهاد ، وقيدنا المذاهب الأربعة ؛ لأن غيرهم لم يُضبط مذهبه ، وإلا لجاز تقليده ؛ لأن الجميع على هدى " .

ومن التربية التي تلقيناها من علمائنا الأحسائيين - جزاهم الله عنا خير الجزاء - حرصهم على تلقيننا في مراحل تعليمنا المبكرة نصوصاً شعرية كثيرة حول أدب الخلاف واحترام المخالف ، منها قصيدة الشيخ عبدالعزيز بن صالح العلجي المالكي الأحسائي،رحمه الله، ومما قال فيها:

وكان اتّباعُ المهتدين هداية ... و طاعتُهم في الناس فرضاً محتَّما
يقول تعالى فاسألوا أوَلم تكن ... قضَت باتباع الناس مَن كان أعلما
ومن قال واجعلنا إماماً ألم يُرد ... من الله أن يُقفَى سبيلاً ويُلزَما
ولكن رضينا مالكاً وابنَ حنبل ... ونعمانَنا والشافعيَّ المكرَّما
أئمةُ حق كالشموس اشتهارُهم ... فما انطمسوا إلا على من به عمى
وهل جمعوا إلا كتاباً وسنَّة ... وإلا قياساً صادقَ الجدِّ محكما
وإجماعَ أصحاب النبيِّ كفى بهم ... لنا سبباً ما كان أن يتصرَّما
فإن قلتمُ ماتوا فسيرتهُم حيَت ... وإن هبطوا لحداً فمنهاجُهم سما
هم الخيرُ أحياءً وبعد مماتهم ... نرى نهجَهم للخير أهدى وألزما
وهم حوَّطوا الشرعَ الشريفَ بفضلهم ... فأضحى عن الجُهَّال ممتنعَ الحمى
وكم قاصد للدِّين يبغي فسادَه ... رآهم ليوثاً خادرين فأحجما

ومنها تخميس الشيخ عبدالله بن علي العبدالقادر الشافعي الأحسائي ، رحمه الله ، الذي قال فيه :

نورٌ تبلّج كالصباح إذا بدا ... بعث الإله به النبيَّ محمدا
ما زال يَظهر في نجوم الإقتدا ... إنَّ المذاهبَ كالمناهل في الهدى
والمرء مثلُ الوارد الظمآن
نعمانهُم والأصبحي بمنزل ... ما كان عنه التاليان بمعزل
أنهارُهم تجري كعذب سلسل ... والنفسُ إن رَويت بأوَّل منهل
غريت بلا كُره لشرب الثاني

( للبحث صلة )

دراسات وأبحاث

# المدينة المنورة

( الحلقة الأولى )

بقلم : العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي
تعريب : محمد فرمان الندوي

تقع المدينة المنورة في شمال مكة المكرمة على مسافة ٤٥٥/ كم، ويحدها في غربها بحر، على مسافة مأة وثلاثين ميلا ، ومينأؤ هذه المنطقة المشهور ينبوع،وتتوسط المدينة المنورة في الطريق بين مكة والشام، ويقدر طول بلدها مثل مكة المكرمة، أي ٣٩½ درجة في الشرق ، لكن عرضها ٢٤/ درجة في الشمال ، وعرض مكة ٢١/ درجة في الشمال .

**يثرب :**

كان اسم المدينة القديم يثرب،وهي قرية في غربها ، ولكن يطلق هذا الاسم على البلد كله، سُمّي هذا البلد بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ما هاجر إليه من مكة المكرمة ، وتبوأه وطناً له ، فهنا روضة الرسول صلى الله عليه وسلم،والمسجد الذي بناه صلى الله عليه وسلم بعد هجرته،واعتبر صلى الله عليه وسلم هذا البلد أيضاً حرماً بإذن الله تعالى، وخصه بأقدس المدن الإسلامية الثلاث:إحداها: مكة المكرمة،وأخراها : المدينة المنورة،وثالثتها: بيت المقدس،وجُعل أجر حسنة في هذه المدينة مقدار ألف .

المدينة المنورة بلد زراعي ، وأرض خضراء بالعكس من مكة المكرمة ، وفضلاً عن جهتها الغربية توجد في مختلف نواحيها جنات من نخيل وأعناب ورمان وتفاح وفواكه أخرى بكمية كبيرة ، فتزرع هذه الأرض ، وهي تمتد إلى أميال ، ويختلف طقسها ومناخها من مكة ، أي الحرارة في الصيف ، والبرودة في الشتاء ، بالعكس من مكة التي تشتد فيها الحرارة من المدينة أو أكثر من ذلك ، وتقل فيها البرودة في الشتاء ، فمن المفارقات التي تتميز بها المدينة المنورة من مكة المكرمة أنها ليست محاطة بالجبال ، ومنها أن أشجار النخيل قد غرست في جوانبها الأربعة ، ومنها أنها ترتفع من سطح البحر مقدار ½ ٢ ألف قدم ، وهذه المدينة تقع على حدود الحجاز وتهامة ، وفي شرقها هضبة للحجاز ، وفي غربها ساحة طويلة لتهامة ، فالمدينة المنورة تعتبر من موقعها مدينة حجازية ، ومكة

المكرمة مدينة تهامية ، ويلقب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنسبة إليهما حجازياً وتهامياً .

وبالرغم من هذا تعتبر هذه المدينة مدينة تتوافق للصحة في تهامة والحجاز ، يشتد فيها الشتاء والصيف ، وتقع المدينة في ساحة ، تتمايل إلى صبب في الشمال ، وقد أحاطتها الحرتان في الشرق والغرب ، والجبلان في الشمال والجنوب ، ففي شرقها حرة واقم ، وفي غربها حرة الوبرة ، وإن حرة الوبرة أقرب إلى المدينة من حرة واقم ، وفي غرب هذه الحرة أشهر الأودية وأكبرها وادي العقيق ، وتوجد آثار وملامح على هذه الحرة ، ورد ذكرها في مواضع شتى من السيرة النبوية ، وتتلاحق مداخل المدينة أيضاً بنواحٍ مختلفة من هذه الحرة ، ولما اعتبر رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة المنورة حرماً آمناً – بوحي من الله تعالى – وضع علاماته بين هاتين الحرتين في الشرق والغرب .

**جبل أحد ، وسلع وعير :**

وفي شمال المدينة جبل أحد ، وقعت عنده غزوة أحد ، وعنده قبور عدد من الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، وقبر سيدنا حمزة رضي الله عنه ، ويقع جبل أحد على مسافة ميلين ونصف ميل تقريباً ، قال عنه صلى الله عليه وسلم: أحد جبل يحبنا ونحبه ،[1] وهو على باب من أبواب المدينة .

وجبل سلع في شمال المدينة ، على جهة شمالية متصلة بحرة الوبرة ، وهو جبل صغير ، وقد نادى رجل ببشارة توبة كعب بن مالك رضي الله عنه ، وهو قائم عليه ، ويجاوره جبل صغير أيضاً باسم جبل سُلَيع ، وتقع عليه أبنية بني أسلم وعمرانها .

وفي جنوب المدينة جبل عَير ، وهو يشتمل على جبلين أحمرين متصلين ، بعضهما ببعض ، يُعرف أحدهما بعَير الوارد ، وثانيهما بعير الصادر وقد اعتبر رسول الله صلى الله عليه وسلم المنطقة المتوسطة بين هذين الجبلين ( جبل عير وجبل أحد ) حرماً في شمال وجنوب المدينة المنورة .

وكما مرَّ آنفاً أن المدينة المنورة محاطة من جوانبها الأربعة ، امتدت في شرقها حرة واقم ، وفي غربها حرة الوبرة ، وفي الشمال أرض لينة ، يتصل جزؤها الغربي بحرة الوبرة ، وجبل سلع في هذه القطعة اللينة

---

[1] أخرجه البخاري ، كتاب المغازي ، باب أحد يحبنا ونحبه ، عن أنس ، رقم الحديث : ٣٨٥٥ .

من الأرض ، وفي السنة الرابعة من الهجرة حفر فيها المسلمون الخندق ، وضيق على الكفار طريقهم ، ويسمّى هذا الحادث بغزوة الأحزاب أو غزوة الخندق ، وقد حفر هذا الخندق من حرة واقم على حرة الوبرة في صورة هلالية ، ويشق الجزء الخارجي من جبل سلع ، وكانت جنود المسلمين في سفوح جبل سلع ، وهذه القطعة المدنية تستعمل للزراعة أيضاً ، فيغرس فيها الأشجار والخضار ، وفي جنوب المدينة بين جنوبي حرة الوبرة وحرة واقم ( المنطقة التي يقع فيها جبلان عير الوارد وعير الصادر ) توجد العوالي وقبا . وهما متصلتان بالحرتين في جانب ، وفي جانب آخر كانت أرضهما خضراء منتجةً ، فتزرع فيها النخيل والأعناب كثيراً ، وكانت فيها سلسلة البساتين أيضاً .

وتوجد في المدينة المنورة أودية يقارب عددها ستةً ، وهي في جنوبها ، لكن واحداً منها في شمال شرقها ، فيشق داخل المدينة المنورة ، إلى خارجها من شمال غربها ، ثم ينضم إلى وادي إضم ، وينتهي إلى البحر الأحمر ، ويتجه إلى المدينة المنورة من شمال شرقها قناة ، ومن جنوب شرقها مهزور ومذينب ، ومن غربها بطحان ورانوناء والعقيق ، والعقيق أشهر الأودية في المدينة المنورة ، يمرُّ بالجهة الغربية في المدينة المنورة ، ولهذا الوادي دور أدبي وتاريخي ، وكان هنا في الزمن القديم بيوت أغنياء المدينة التي ورد ذكرها في الأدب العربي ، ويأتي إليها المترفون والأثرياء ويتفرجون فيها ، وشارع مكة يمرُّ بهذا الوادي ، وقد مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم متجهاً إلى بدر .

وفي هذا الوادي بئر رومة وزغابة وبعض أمكنة مشهورة تاريخية ، وبئر رومة بئر لماء عذب في وادي العقيق في غرب المدينة المنورة ، وكان يملكها يهودي ، تصدق بها سيدنا عثمان رضي الله عنه بإيعاز من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد أن ابتاعها منه ، وعلى رأس شمال غرب المدينة قرب حرة الوبرة ثنية الوداع ، أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها إلى المدينة المنورة مرة ، فأنشدت البنات هذه القصيدة :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ، ما دعا لله داعٍ
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

وإن شارع جبل أحد يمر بهذه الجهة ، وفي عهد النبي صلى الله عليه وسلم تتجه شوارع المدينة الشمالية والجنوبية إلى هذه الجهة .

سكنت العمالقة والأمم الأخرى في المدينة المنورة التي يطلق عليها اسم يثرب قبل الإسلام ، وكان اسم يثرب منذ عهد العمالقة ، غيَّره النبي صلى الله عليه وسلم بعد الهجرة ، لأن معناها لم يكن حسناً ، وكان المرض يتعدى إليها بسرعة قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ، فسميت بهذا الاسم ، لكن لما قدم النبي إلى يثرب عرفت بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتستعمل كلمة المدينة فقط ، ويُعرف أيضاً باسم المدينة المنورة ، وقد زالت بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم جميع الأمراض الناتجة من السموم والصيف ، فلم يكن هناك سبب لتسمية المدينة بيثرب ، وقد رويت أسماء عديدة لها عن النبي صلى الله عليه وسلم ، يجدر منها بالذكر خاصة طيبة [1] وطابة [2] إلا أن الاسم الذي اشتهر وذاع صيته هو مدينة النبي صلى الله عليه وسلم أو المدينة ، ووردت فضائل كثيرة عن المدينة ، منها أن الإيمان يأرز إلى المدينة قرب يوم القيامة ، كما قال صلى الله عليه وسلم : إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها . [3]

**المسجد النبوي :**

هو المسجد النبوي الشامخ في وسط المدينة المنورة ، وهو في شبه صورة مستطيلة ، وفي شرق هذا المسجد وعلى رأس جنوبه الروضة المباركة ، وإن الموضع الذي يتوسط في منبر المسجد والروضة المباركة ( وهو جزء مهم من المسجد ، وكان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم أصل المسجد ) وردت عنه فضائل كثيرة ، واعتبره صلى الله عليه وسلم روضة من رياض الجنة ، [4] وإن قبر النبي صلى الله عليه وسلم في حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها ، وهي تعرف بالروضة النبوية ، وهذه

---

[1] سنن أبي داود ، كتاب الفتن ، رقم الحديث : ٤٠٧٤ .

[2] أخرجه البخاري ، كتاب فضائل المدينة ، باب المدينة طابة ، رقم الحديث : ١٧٧٣ ، عن أبي حميد رضي الله عنه .

[3] أخرجه البخاري ، كتاب فضائل المدينة ، باب الإيمان يأرز إلى المدينة ، عن أبي هريرة ، رقم الحديث : ١٧٧٧ .

[4] أخرجه البخاري ، رقم الحديث : ١١٩٦ ، ومسلم : ١٣٩١ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

الحجرة متصلة بالجهة اليسرى ، تجاه قبلة المسجد النبوي ، وفي شمال هذه الحجرة حجرة أخرى ، ثم الصفة النبوية ، هذه المواضع كلها داخل المسجد النبوي الآن ، وقد جرت توسعات في حدود المسجد ، فصار المسجد النبوي أوسع من ذي قبل ، وهو أجمل وأفخم مسجد .

هذا المسجد من أعظم وأقدس المعالم التاريخية في المدينة المنورة ، وثاني المساجد في الإسلام ، فالمسجد الأول المسجد الحرام ، والمسجد الثاني المسجد النبوي ، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن أداء صلاة فيه بألف صلاة ، قال صلى الله عليه وسلم : صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، [1] يقع هذا المسجد في وسط المدينة ، بنيت في جنوب شرقه القبة الفخمة المزركشة بماء من الذهب ، وعليها زخارف ، ونُقشت جدران المسجد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأسماء الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم .

وإن فناء المسجد واسع ومكشوف ، قد فرشت فيه في قديم الزمان حصيات صغيرة ، لكن غطي الآن بالرخام ، وإن داخل المسجد قد زيِّن بالمصابيح الثمينة والسجاجيد الرائعة .

بنى هذا المسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده مع أصحابه الكرام في السنة الأولى من الهجرة ، وخصَّ به الموضع الذي بركت فيه راحلته وقت الهجرة ، وقد أطلقها النبي صلى الله عليه وسلم ، وأراد أن ينزل حيثما بركت فيه ، فلما انتهت إلى دار أبي أيوب ، بركت به على الباب ، فنزل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبنى فيه المسجد ، وإن الأرض التي بني فيها المسجد اشتراها النبي صلى الله عليه وسلم من أصحابها .

وفي السنة السابعة من الهجرة زاد فيه النبي صلى الله عليه وسلم زيادات ، وجعله في شكل مربع ، ثم في سنة ١٧/ من الهجرة أدخل فيه سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعديلات ، وقام بتوسعة المسجد النبوي ، فكانت جدرانه من جذوع النخيل ، وسقفه من الجريد ، وفي سنة ٢٩/ من الهجرة أعاد بناءه سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وبنى جداره من الحجارة المنقوشة والجص ، وسقفه من خشب الساج ، وزاد توسعة المسجد من جهة القبلة ( الجنوب ) ، ومن الجهة اليمنى وخلف

---

١ أخرجه مسلم في كتاب الحج ، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة ، رقم الحديث : ١٣٩٤ .

ظهر المصلين ، وفي الجهة اليسرى كانت حجرة النبي صلى الله عليه وسلم التي فيها قبره ، فلم يزد شيئاً في هذه الجهة ، وبعد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ضمت حجرات أمهات المؤمنين إلى المسجد النبوي في عهد وليد بن عبد الملك ، وكانت حجرة السيدة حفصة رضي الله عنها تجاه حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها نحو القبلة ، فأدخلت في المسجد النبوي في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وكان على الجانب الأيمن لحجرة السيدة عائشة المسجد ، وعلى الجانب الأيسر بعض حجرات أمهات المؤمنين ، أدخلت بعض حجرات الجانب الأيسر في المسجد النبوي في عهد الملك وليد بن عبد الملك ، وليس هذا فقط ، بل إن حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها التي فيها قبر النبي صلى الله عليه وسلم أدخلت في المسجد النبوي ، وتحولت بقعتها نحو القبلة وجانبها الأيسر إلى صفوف المسجد النبوي ، ثم أجرى الخلفاء والأمراء في عهودهم إصلاحات وترميمات ، لكن لم يكن هناك إصلاح خاص بعد الخليفة الوليد بن عبد الملك ، وقد أعاد بناءه السلطان عبد المجيد العثماني في عام ١٢٦٥م ، فبنيت خمسة أبواب وخمس منارات ، وعلى جهة القبلة في اليمين باب السلام ، وفي وسط اليمين باب الرحمة ، وفي اليسار قرب الحجرة النبوية باب جبريل ، ويقاربه باب النساء ، وخلف المصلين في الجهة الشمالية الباب المجيدي ، ومن المنارات منارة على ناحية من الحجرة المباركة ، وهي منارة رئيسية ، تلوح مع القبة الخضراء ، وأخراها على باب السلام ، وثالثتها على باب الرحمة ، ورابعتها على الباب المجيدي ، والخامسة تسمَّى بالسليمانية ، وهي في شمال غرب المسجد النبوي ، وأعيد بناؤ المسجد النبوي في عام ١٣٧٢م ، بأمر من الملك عبد العزيز آل سعود ، بحيث وسعت حدود المسجد من شماله ، ( وليعلم أن القبلة في جنوب المسجد النبوي ) ، وأضيفت إلى هذا البناء أبواب جديدة : في اليمين باب علي ، وباب العزيز ، وعند باب السلام مكان خوخة أبي بكر [1] باب أبي

[1] إن خوخة أبي بكر باب صغير ، يُفتح تجاه المسجد النبوي ، من بيت أبي بكر رضي الله عنه ، كان يدخل منه المسجد ، وبيوت الصحابة رضي الله عنهم أيضاً لها أبواب ، تُفتح نحو المسجد ، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإغلاقها ، إلا باب سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، الذي ظل مفتوحاً مثل الأبواب المستقلة للمسجد النبوي .

بكر رضي الله عنه ، وفي اليسار باب سعود ، وفي الشمال باب عمر رضي الله عنه وباب عثمان رضي الله عنه ، وقد أحيط المسجد النبوي من جوانبه الأربعة بالشوارع ، وجعلت الأبنية مفردة وبعيدة عنها .

**روضة الجنة :**

وهي بقعة في جهة الشمال في الصفوف الأولى في المسجد النبوي ، وهي أكبر جزء للمسجد الذي بناه النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي يسارها حجرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي يمينها المسجد النبوي ، ولا شك أنه أقدس وأهم موضع في المسجد ، قال صلى الله عليه وسلم عنها : ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ، [1] وإن طولها من المغرب إلى المشرق ٧٣/ قدماً ، وعرضها ٥٠/ ، من أهم مواضع هذه البقعة أسطوانة عائشة وأسطوانة حنانة ، وأسطوانة أبي لبابة وغيرها ، وفيها المحراب النبوي ، حيث يصلي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصحابة رضي الله عنهم ، ووردت عن أسطوانة عائشة فضائل كثيرة ، يصلي عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة التطوع ، وقد ذكر أهمية هذا الموضع أيضاً ، وقد نسبت إلى أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها ، لأنها ذكرت فضائلها ومكانتها ، وأسطوانة حنانة هي العمود الذي كان يتكأ إليها النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة قبل أن يُصنع له المنبر ، فلما صنع المنبر ، وتركها بدأت تئن أنين الصبي الذي يسكّن ، [2] وأسطوانة أبي لبابة هي التي ربط نفسه بها أبو لبابة ، ولم يفك إسارها ، حتى قبلت توبته ، صدر منه خطأ ، ففعل هذا تأسفاً وندامة عليه .

يُستحب للزائر أن يدخل المسجد النبوي ، ويؤدي ركعتين لتحية المسجد أولاً في روضة الجنة ، ويسلّم على النبي صلى الله عليه وسلم أمام المواجهة الشريفة .

( يتبع )

---

١ أخرجه البخاري ، رقم الحديث : ١١٩٦ ، ومسلم : ١٣٩١ ، عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٢ أخرجه البخاري ، المناقب : ٣٥٨٤ – ٣٥٨٥ .

# إطلاق كلمة " المفيد " في مصطلح الحديث

( الحلقة الثالثة الأخيرة )

بقلم : الأستاذ أبو أنس رفيع الله المَرْوَتِي ( كراتشي )

**متى استحدث هذا الاصطلاح :**

إن الإمام الذهبي ذكر في كتابه الفحل ((تذكرة الحفاظ ١٢٥/٣)) : " أن المفيد أول ما استعمل لقبا قبل الثلاث مائة " . أي قبل نهاية القرن الثالث ، لأن موسى بن هارون الذي قال عنه محمد بن يعقوب : إنه سمّاه بالمفيد ، توفي سنة ٢٩٤هـ ، وولد محمد بن يعقوب سنة ٢٨٤هـ ، فتسمية موسى بن عبيد إياه بالمفيد كما يزعم بين ٢٨٤هـ ، وبين ٢٩٤هـ ، وهو نهاية القرن الثالث ، فكأن الذهبي ادّعى أن لفظ (المفيد) ما استعمل لقباً قبل عام ٢٨٤هـ .

وبما أنني جمعت الملقَّبين بهذا اللقب في القرون الست الأُوَل، وقمت بدراستهم ، فأثناء ذلك أوقفني قول أبي بكر أحمد بن عمرو البزّار (ت٢٩٢هـ) ، في موسى بن عبيدة بن نشيط (ت١٥٣هـ) ، الذي ذكره الحافظ ابن حجر في ((تهذيب التهذيب)) ما نصه : " إنه رجل مفيد وليس بحافظ " ، وأحسب إنما قصر به عن حفظ الحديث فضل العبادة " .

وفي هذا القول إشارة إلى أن المفيد أدنى من الحافظ ؛ لأن الجملة الثانية من قوله تدل على عدم وصوله إلى درجة الحافظ ، وهو آخر ما وصلت إليه في هذه الدراسة ، ولو أخذنا بهذا القول لقلنا إن اصطلاح المفيد استحدث في القرن الثاني من الهجرة ؛ لأن موسى بن عبيدة من أعيان القرن الثاني ، وسماه أبو بكر البزار بالمفيد ، وانتقض قول الذهبي الذي ادعى فيه أن اصطلاح المفيد استحدث في القرن الثالث ؛ فلتثبيت الأمر راجعت إلى عدة نسخ لتهذيب التهذيب وهي التالية :

١- طبعة دار الفكر التي تقع في اثني عشر مجلدا .

٢- طبعة مؤسسة الرسالة بتحقيق إبراهيم الزبيق التي تقع في أربعة مجلدات .

٣- طبعة دار المعرفة بتحقيق خليل شيحا ورفقائه التي تقع في ستة مجلدات.

ولكن في جميع هذه النسخ أثبتَ (رجل مفيد) ، فظننت أني وصلت إلى شيء جديد في هذا البحث ، ولكن ما اكتفيت بذلك ، وبدأت بالبحث عن قول البزار في كتبه هو ؛ حتى أصل إلى أي نتيجة كانت ، ولكن بكل تحقيق ، إلى أن وجدت قوله في موسى في مسنده المسمى بـ ((البحر الزخار ١/٧٤)) ، فإذا فيه: " رجل متعبد " بدل مفيد ، ولكن مع ذلك ما اقتنع قلبي ، وقلت ربما وقع الخطأ في مسند البزار ؛ لأنه اتفقت ثلاث نسخ على "رجل مفيد " بينما كانت عندي نسخة واحدة لمسند البزار آنذاك ، فطفقت أبحث عن قوله في الكتب التي تتحدَّث عن الرواة الذين يروون عنهم أصحاب الصحاح الست ، حتى ظفرت بقول البزار في موسى بن عبيدة في ((إكمال تهذيب الكمال)) لمغلطاي (٧٦٢هـ) ، وفيه أيضا : " رجل متعبد " (٧٣) ، كما في مسند البزار ، وطبعا قول البزار في إكمال تهذيب الكمال يقرّبنا إلى أن نقول : أن الأصل هو متعبد لا المفيد .

وأزيدك معلومةً أن الحافظ ابن حجر لقد انتفع في التهذيب بإكمال تهذيب الكمال لمغلطاي ، وإنما هو استعان به للوهلة الأولى ؛ لأنه قد جمع مغلطاي في كتابه هذا أقوال أئمة النقاد في المترجمين لا تجدها عند الآخرين ؛ لأنه يأخذها من المصادر الأصلية ، وقد أخذها الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب من كتاب مغلطاي ، وأقر بذلك في مقدمة التهذيب حيث قال : وقد انتفعت في هذا الكتاب المختصر بالكتاب الذي جمعه الإمام العلامة علاء الدين مغلطاي على تهذيب الكمال مع عدم تقليدي له في شيء مما ينقله ، وإنما استعنت به في العاجل ، وكشفت الأصول التي عزا النقل إليها في الآجل ، فما وافق أثبته ، وما باين أهملته .

فالخطأ الذي وقع في ((تهذيب التهذيب)) ربما يكون من الناسخ ؛ فإن الحافظ ابن حجر إذا اطّلع على هذا القول في ((الإكمال)) ، ثمّ رجع إلى أصل قوله في المسند المسمى بـ (البحر الزخار) ، فمع ذلك وقوع مثل هذا الخطأ عن الحافظ ابن حجر بعيد ، ولكن وقوع كلمة (مفيد) في جميع النسخ التي ذكرتها آنفا بدل " مُتَعَبِّد " يبعد ذلك البعد .

وسياق قول أبي بكر أيضا يؤيِّد أن ما وقع في (تهذيب التهذيب) "إنه رجل مفيد " غير صواب ؛ لأن أبا بكر البزار قال عن موسى هذا

القول عندما كان يبيِّن علة الحديث الذي رواه موسى عن مولى ابن السباع فقال : " وهذا الحديث لا نعلم روي عن أبي بكر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من هذا الوجه ، ومولى ابن سباع هذا فلا نعلم أحدا سماه ، وإنما ذكرناه إذ كان لا يروى عن أبي بكر إلا من هذا الوجه ، وبَيَّنَّا عِلَّتَه ، وموسى بن عبيدة فرجل متعبد حسن العبادة وليس بالحافظ ، وأحسب أنما قصر به عن حفظ الحديث فضل العبادة " .[1]

فكأنه أثنى على موسى من حيث العبادة ، ولكن لمَّح إلى أنه غير مرضِي عنده من حيث الحديث .

وأضف إلى ذلك أنني وقعت على غير واحد من حملة الآثار وذوي الأبصار ، الذين كانوا يفيدون الناس الأحاديث عن المشايخ في زمانهم ، وهم من أعيان القرن الثاني من الهجرة ، ورغم ذلك ما وصفهم أحد بالمفيد ، وهذا يُعَزِّزُ أن (المفيد) من المصطلحات التي استحدثت في القرن الثالث وإليك الأمثلة :

١- محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى العلامة ، الإمام ، مفتي الكوفة ،قاضيها ،أبو عبد الرحمن الأنصاري الكوفي ،المتوفى (١٤٨هـ) . قال شعبة بن الحجاج : " أفادني ابن ليلى الأحاديث فإذا هي مقلوبة " [2] .

٢- العلامة ، المفتي ، فقيه العصر ، أبو سلمة عثمان بن مقسم الكندي البرّي من المتوفين بين (١٦١هـ وبين ١٧٠هـ) . قال شعبة: " أفادني

---

١- حدثنا محمد بن المثنى قال : نا روح بن عبادة قال : نا موسى بن عبيدة قال : أخبرني مولى ابن سباع قال : سمعت عبد الله بن عمر يحدث عن أبي بكر الصديق ، قال : كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية (من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يا أبا بكر ألا أقرئك آية أنزلت علي » ؟ قلت : بلى يا رسول الله ، قال : فأقرأنيها ، فلا أعلم إلا أني وجدت انقصاما في ظهري فتَمَطَّأْتُ (١) لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما لك يا أبا بكر » ؟ قلت : بأبي وأمي يا رسول الله ، وأينا لم يعمل سوءا وإنا لمجازون بما عملنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أما أنت يا أبا بكر وأصحابك المؤمنون فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقون الله وليس لكم ذنوب ، وأما الآخرون فيجمع ذلك لهم حتى يجزون به يوم القيامة » .

(١) أي مدَّ يده مداً .

٢- سير أعلا م النبلاء ٦/٣٦ .

عثمان البرّي عن قتادة حديثا ، فسألته فما عرفه ، فجعل عثمان يقول : " بل أنت الذي حدثتني " ، فيقول: لا ،فقال قتادة:" هذا يخبرني على أن عليه لي ثلاث مائة درهم " [١] .

٣- سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، شيخ الإسلام، إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه أبو عبد الله الثوري، الكوفي، المجتهد (ت١٦١هـ). قال شعبة:" هو أحفظ مني، ما أفادني شيئا عن رجل إلا وجدته كما أفادني " [٢] .

٤- حماد بن سلمة بن دينار الإمام القدوة شيخ الإسلام ، أبو سلمة البصري (ت١٧٣هـ) . قال علي ابن المديني : قال يحي ، قال شعبة : " كان حماد بن سلمة يفيد ني عن محمد بن زياد – القرشي صاحب أبي هريرة رضي الله عنه – فقلت ليحي : كان حماد يفيده ؟ قال : " نعم " [٣] .

فهؤلاء الأئمة الأجلاء كانوا يفيدون الناس عن المشايخ ، وكانوا أحرى بأن يلَقّبوا بالمفيد ؛ ولكن مع ذلك لم نر أحداً نصَّ على ذلك ، فهذا دليل ناطق على عدم ذيوع هذا اللقب بين أوساط المحدثين ، وعدم رواجه ساعتئذ ، وأن هذا اللقب من مستحدثات القرن الثالث .

إلا أن قول الذهبي: هذه العبارة أول ما استعملت لقبًا في هذا الوقت قبل الثلاثمائة أي: قبل نهاية القرن الثالث بحاجة إلى تمحيص؛ لأنه هناك من قيل فيه:" المفيد"، وتاريخ وفاته ٢١٣هـ، وكذلك غير واحد من المتصفين بهذه الكلمة، وقد مات قبل منتصف القرن الثاني، وسيأتي تفصيله في المبحث الآتي.

**أول من لقب بالمفيد عند الذهبي :**

قال الخطيب في (تاريخه١/٣٤٦) : " سمعت محمد بن عبد الله بن محمد يحكي عن أبي بكر المفيد الجرجراي قال : "موسى بن هارون سماني المفيد " .

وقال الذهبي تعليقاً على قوله : " فهذه العبارة أول ما استعملت لقبًا في هذا الوقت قبل الثلاثمائة " . فإذا استعمل المفيد لقبا في ذلك الحين ،

---

١- م . س .
٢- الكامل ١/ ١٧٠ .
٣- سير أعلام النبلاء ١٠/ ٣٢٠ .

أصبح محمد بن يعقوب أول من لقّب بهذا اللقب .

ولكن يخالف التاريخ والتَّتبُّع كلاهما ما قاله الذهبي ، أما التاريخ فلأن موسى بن هارون الذي قال عنه محمد بن يعقوب: إنه سمّاه بالمفيد ، ولد سنة ٢١٤هـ ، ومات سنة ٢٩٤هـ ، ومحمد بن يعقوب ولد سنة ٢٨٤هـ ، ومات سنة ٣٧٨هـ ، فتكون سن ابن يعقوب عند وفاة موسى بن هارون: عشر سنوات فقط، وفي هذه السن لا يكون في وسع أحد أن يُفِيدَ نظرًا إلى تعريف المفيد ، وإلى طرق الإفادة وصفاته ، بل ولا يجيد ، فكيف يُعتَمد على قوله : إن موسى سمّاه بالمفيد ؟ .

أما التتبع فلأنّني قد ظفرت ببضعة وثلاثين محدِّثا ، من الأئمة الحفاظ الثقات الأمناء ، الذين وصفوا بـ (المفيد) ، ورحلو إلى جوار الله تعالى قبل محمد بن يعقوب ، بل البعض منهم قدأدركتهم المنية قبل أن يولد أبو بكر ابن يعقوب ، وهذا يدُلُّ على أن القول بأن (المفيد) أول ما استعمل في محدث جرجرائي لقباً ، غير صحيح ، بل ويرفضه التاريخ والتتبع ، وقد ذاع هذا اللقب بين أوساط المحدثين ، وانتشرقبله بزمن طويل ، ولقب به غير واحد من المحدثين ، وخذ على سبيل المثال :

١- السوريني [١] : الإمام الحافظ البارع ، محدث نيسابور ، أبو إسحاق إبراهيم بن نصر الخراساني المُطَوَّعي ، الغازي ، قتل سنة عشر ومائتين ، وقيل : قتل سنة ثلاث عشرة ومائتين . ترجَمَ له الحافظ الذهبي في ((تذكرة الحفاظ ٤/٢)) ، وحلاه بالحافظ البارع ، مفيد نيسابور .

٢- الرمادي : إبراهيم بن بشار الرّماديّ البصريّ ، وأصله من جرجرايا، أبو إسحاق المتوفى سنة أربع ، وقيل : سنة سبع وعشرين ومئتين . ترجَمَ له الذهبي في (( سير أعلام النبلاء ٥١٠/١٠)) ونعته بـ الإمام المحدث المفيد .

٣- ابن عمارالمخرمي [٢] : محمد بن عبد الله بن عمار الإمام الحافظ

---

١- السورياني : بضم السين المهملة والراء المكسورة والياء المفتوحة آخر الحروف ، وفي آخرها النون بعد الألف ، هذه النسبة إلى سوريان ، وإنها قرية من قرى نيسابور . الأنساب للسمعاني ٣٣٣/٣ .

٢- المخرمي : بفتح الميم ، وسكون الخاء المنقوطة ، وفتح الراء المهملة المخففة ، هذه النسبة إلى المسور بن مخرمة بن نوفل بن عبد مناف القرشي . الأنساب : ٢٢٢/٥ ، واللباب : ١٧٨/٣ .

الحجة ، محدث الموصل ، أبو جعفر الموصلي المولود سنة اثنتين وستين ومائة ، والمتوفى سنة أربع وأربعين ومائتين . قال عبد العزيز بن علي الأزجي : أنبأ محمد بن أحمد المفيد بن منيع ببغداد سنة أربع وأربعين يعني ومائتين [1] (٧٨) .

٤- الرياطي : الحافظ الإمام ، أبو عبد الله أحمد بن سعيد بن إبراهيم، الخراساني الأشقر ، نزيل نيسابور . المتوفى سنة خمس وأربعين ومئتين، وقيل : سنة ثلاث وأربعين . ترجَمَ له ابن العماد في ((شذرات الذهب : ١٩٦/٣)) وقال : كان علامة مفيدا متقنا .

٥- رجاء : رجاء بن مرجى بن رافع ، الحافظ العَلَم ، أبو محمد ، المروزي ، ويقال : السمرقندي المولود بعد الثمانين ومئة ، المتوفى سنة تسع وأربعين ومئتين . ذكره الذهبي في كتابه الفحل ((تذكرة الحفاظ ٩٥/٢)) ، وقال عنه : مفيد بغداد .

فهؤلاء الأئمة وحفاظ الحديث الموصوفون بهذا اللفظ ماتوا قبل ميلاد محمد بن يعقوب ، وأما من هو أقدم وفاة من الجميع الذين عثرت عليهم بعد البحث الطويل ، والفحص الشديد ، فهو السوروياني المتوفى (٢١٣هـ) ، ولعل الفتاح يفتح عليّ في الآجل .

**الاستنتاجات :**

١- تعريف المفيد الكامل : من يفيد الناسَ الحديثَ عن الشيوخ والكتبَ ويدلهم على شيوخ ذلك البلد .

٢- واصطلاح (المفيد) استحدث في القرن الثالث ، ويشير إلى مرتبة ثالثة من مراتب الحفظ وهي أعلى من المفيد وأدنى من الحافظ .

٣- يمكن أن يكون الموصوف بالمفيد ضعيفاً وليس ثمّة تعارض بين الوصف للواحد بالمفيد وبين الوصف له بأنّه ضعيف ، أو بين الوصف بأنّه سيئ الحفظ ، أو متروك الحديث ؛ لأنّ هذا من شأن أدائه وذاك من شأن تحمله ، فالجهة بينهما مختلفة .

٤- إن الصفات التي ذكرها علماء الفن للمحدث ، لابد من وجودها في المفيد بحذافيرها ، ومع ذلك لابد له من إيفاده الناسَ الأحاديثَ عن

---

١- التقييد لابن نقطة : ٢١٢/١ .

الشيوخ ، أو أن يفيد الغرباءَ الشيوخَ إفادة خاصة أو جماعية ، أو يفيدَهم بالكتابة وإعارة الكتب .

٥- وأما قول أبي بكر أحمد بن عمرو البزّار (ت٢٩٢هـ) في موسى بن عبيدة بن نشيط (ت١٥٣هـ) الذي ذكره الحافظ ابن حجر في (التهذيب) ، ما نصه : " إنه رجل مفيد " غير صائب والصحيح : " إنه رجل متعبد غير حافظ " .

٦- وقول الذهبي : إن المفيد ما استعمل لقبًا في محمد بن يعقوب الجرجرائي . يرفضه الواقع ؛ وذلك لأن مدار قوله على قوله محمد بن يعقوب وهو : أن موسى بن هارون سمّاه بالمفيد ، وكان ابن يعقوب عند وفاة موسى بن هارون : ابن عشر سنوات فقط ، وفي هذه السن لا يكون في وسع أحد أن يصبح مفيدا نظرا إلى تعريف المفيد ، وصفاته ، وطرق الإفادة التي ذُكِرَت ، بل والعثور على من لقب بالمفيد وهو أقدم منه ولادة ووفاة ، يدل على رواج هذا اللقب قبل ابن يعقوب .

المراجع والمصادر :


١. إصلاح كتاب ابن صلاح ، للإمام علاء الدين مغلطاي المتوفى ٧٦٢هـ ، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع .
٢. الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الاسماء والكنى والأنساب ، للأمير الحافظ ابن ماكولا ، مكتبة دار الكتاب الإسلامي للطباعة والنشر خلف .
٣. إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، للحافظ مغلطاي ، مكتبة الفاروق الحديثية للطباعة والنشر .
٤. الأنساب ، للإمام أبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢ هـ ، ملتزم الطبع والنشر والتوزيع دار الجنان ببيروت .
٥. البحرالزخار المعروف بمسند البزار ، للإمام أبي بكر أحمد بن عمرو البزار المتوفى٢٩٢هـ ، مكتبة مؤسسة علوم القرآن ، ببيروت .
٦. البداية والنهاية ، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ ، مكتبة هجر للنشر والتوزيع .

٧. التاريخ الكبير ، للحافظ الناقد أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ هـ ، دار الكتب العلمية ببيروت .
٨. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى ٧٤٨هـ ، دار الكتاب العربي ببيروت ، ط ٢ : ١٤١٠هـ ١٩٩٠م .
٩. تاريخ بغداد ، للإمام الحافظ أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفى ٤٦٣هـ، دار الكتب العلمية ببيروت .
١٠. تذكرة الحافظ ، للحافظ شمس الدين الذهبي ، دار الكتب العلمية ببيروت .
١١. التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ، لأبي بكرمحمد بن عبد الغني البغدادي المعروف بابن نقطة المتوفى ٦٢٩هـ ، مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن الهند .
١٢. التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح ، للحافظ أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي المتوفى ٨٠٢هـ ، الناشر محمد عبد المحسن الكتبي صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .
١٣. تهذيب التهذيب للحافظ أحمد بن علي المعروف بابن حجر المتوفى ٨٥٢هـ ، طبعة مؤسس الرسالة .
١٤. تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، للحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي المتوفى ٧٤٢هـ ، مؤسسة الرسالة ببيروت ، ط ٢ : ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م .
١٥. الجرح والتعديل ، للإمام الحافظ أبى محمد عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازي (المتوفى ٣٢٧هـ) ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند .
١٦. الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر ، للحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي المتوفى ٩٠٢هـ ، : دار ابن حزم ببيروت .
١٧. الرفع والتكميل في الجرح والتعديل ، للشيخ أبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي المتوفى ١٣٠٤هـ ، قديمي كتب خانة ، كراتشي باكستان .
١٨. سيرأعلام النبلاء ، للذهبي المتوفى ٧٤٨ هـ ، مؤسسة الرسالة ببيروت .
١٩. الشذى الفياح في علوم ابن صلاح ، للشيخ برهان الدين إبراهيم بن موسى الأبناسي المتوفى ٨٠٢هـ ، دار الكتب العلمية ببيروت .

٢٠. شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، للإمام عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي المتوفى ١٠٨٩هـ ، دار ابن كثير ببيروت .
٢١. شرح شرح نخبة الفكر ، للإمام المحدث على بن السلطان القارى المتوفى ١٠١٤هـ ، دار أرقم للطباعة والنشر ببيروت .
٢٢. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، للشيخ أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي ، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة .
٢٣. العبر في خبر من غبر ، للذهبي ، دار الكتب العلمية ببيروت .
٢٤. فتح المغيث بشرح ألفية الحديث ، للسخاوي المتوفى ٩٠٢هـ ، دار الإمام الطبري ، ط ٢ : ١٤١٢هـ ، ١٩٩٢م .
٢٥. الكامل في ضعفاء الرجال ، للإمام الحافظ عبدالله بن عدي الجرجاني المتوفى ٣٦٥هـ ، دار الفكر للنشر والطباعة ببيروت ، ط ٢ : ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .
٢٦. كتاب الثقات ، للإمام الحافظ محمد بن حبان البستي المتوفى ٣٥٤هـ ، دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن الهند .
٢٧. كتاب الضعفاء والمتروكين ، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي المتوفى ٥٧٩هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٢٨. اللباب في تهذيب الأنساب ، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد الجزري المتوفى ٦٣٠هـ ، مكتبة المثنى بغداد .
٢٩. لسان العرب ، للإمام محمد بن مكرم المعروف بابن منظور المتوفى ٧١١هـ ، مطبعة دار لإحياء التراث العربي ، بيروت لبنان .
٣٠. مبادي علم الحديث وأصوله ، للمحدث الشيخ شبير أحمد العثماني المتوفى ١٣٦٩هـ ، مكتبة المطبوعات الإسلامية .
٣١. معرفة أنواع علوم الحديث ، للإمام الحافظ أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري المتوفى ٦٤٣هـ ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان .
٣٢. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، لابن الجوزي ، دار الكتب العلمية .
٣٣. ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي ، دار المعرفة بيروت لبنان .
٣٤. الوافي بالوفيات ، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي المتوفى ٧٦٤هـ ، دار إحياء التراث ببيروت .

# الرواية العربية تحت ظل الحضارة الغربية

( الحلقة الثانية الأخيرة )

الدكتور شهنواز أحمد *

**جذور الرواية :**

إن الرواية ظهرت كنوع بارز من الأدب في إنجلترا في القرن الثامن عشر الميلادي ، وتمتد جذورها إلى الأدبين القديمين – الإغريقي والروماني – وتمتزج في الأدب الروائي بعض سمات الأدب علاوة الرواية ، مثل التاريخ والسيرة الذاتية . لكن الرواية تختلف عن هذه الفنون غير الروائية بمميزات فنية خاصة بها كالحبكة والموضوع والعناصر . فاشتهرت في أوروبا القصص الفروسية الخيالية التي تتحدث عن الحب والمغامرة في أواخر القرون الوسطى .

ويعد بعض النقاد دانيال ديفو (Daniel Defoe) أول روائي في إنجلترا بالرغم من افتقار روايته لحبكة موحدة فكتبت الدكتورة فاطمة موسى :

" الفن القصصي الذي ظهر أول ما ظهر في إنجلترا في مطلع القرن الثامن عشر ، مرتبطا بالمذهب الواقعي في الفلسفة أيما ارتباط ومتخذا من الحياة اليومية للأفراد مادة للقصة ، وقد أرسى دعائمه في النصف الأول من ذلك القرن رواد ثلاثة : هم دانيال ديفو مؤلف روبنسون كروزو (١٧١٩) ، وصاموبل ريتشاردسون مؤلف باميلا أو جزاء الفضيلة (١٧٤٠) ، وكلاريسا أو قصة فتاة (١٧٤٧) ، وهنري فيلدنج مؤلف جوزيف أندروز (١٧٤٢) وتوم جونز (١٧٤٩) وقد نقله عنهم الفرنسيون ثم الروس في القرن التاسع عشر وبرزوا فيه حتى فاقوا الإنجليز أنفسهم ، إذ لا نرى في قصاصيهم عملاقا في مستوى تولستوي أو سنتدال [١] مثلا " .

وتأثر الروائيون الإنجليزيون بالأفكار الفلسفية المعاصرة في القرن

---

* أستاذ ضيف فى قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة خواجه معين الدين جشتي الأردية والعربية والفارسية بلكناؤ ، الهند .

١ . روائي فرنسي . اسمه الحقيقي ماري هنري بيل Marie Henri Beyle (١٧٨٣-١٨٤٢) يعتبر أحد أبرز وجوه الأدب الفرنسي في القرن التاسع عشر . أشهر رواياته "الأحمر والأسود" سنة ١٨٣٠م .

العشرين في ارتقاء هذا الفن أي فن الرواية ، ومن أبرز أعلامها يأتي اسم أيديلين فرجينيا وولف ( Adeline Virginia Woolf ) فإنها كانت متأثرة بالأفكار الفلسفية غاية التأثر ، فبلّغت هذا الفن إلى أوجه الكمال في الأدب الإنجليزي ، كما قالت الدكتورة فاطمة موسى :

" فرجينيا وولف ومعاصريها من أمثال جويس وهكسلي في ميدان القصة (واليوت وأودن في ميدان الشعر) هؤلاء جميعا أضافوا إلى تراث الأدب الإنجليزي ما يسمى بالأدب الممتاز High Brow تمييزاً له عن الأدب السوقي الذي لا يتطلب جهدا أو ثقافة " .[1]

إن الرواية في أوروبا نفسها لم تنشأ إلا في مرحلة معينة ولم تتطور إلا بتطور المجتمع وتغير العلاقات فيه . وإذا كان بعض المؤرخين للأدب يرى علاقة بين الرواية الأوروبية في العصور الوسطى وبين الترجمة نظرا لطريقة القصص العربية في روايات الفرسان والمغامرات وقصص الأوهام والخيال . فإن الرواية العربية كذلك لم تنشأ إلا في ظل التطور والاحتكاك وتشابك العلاقات المدنية .[2]

**نشأتها وتطورها :**

اختلفت الآراء حول نشأة الرواية الحديثة ، فيرى البعض أن هذا النوع من الأدب كان موجودا في العصر الجاهلي في أشكال شتى ، مثلا ملاحم عنترة ، ورأس الغول ، و سيف بن ذي يزن ، والسيرة الهلالية ، وحكايات ألف ليلة وليلة ، وحي بن يقظان ، وغيرها . وكان هذا النوع محتويا غالبا على أخبار الحروب وسمات العرب الثقافية والأخلاقية وحياتهم ، ولم تكن هذه القصص ذات هدف معين ، ومن حيث الأسلوب ضعيفا جداً .

ويرى البعض أنها شكل مستورد من الغرب منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر . وهذا يعني أن الرواية بمفهومها الحديث تنعدم في المصنفات العربية القديمة .

فأظن أن جذور الرواية كانت موجودة على شكل الحكايات والأساطير والملاحم سواء عند العرب أو غيرهم من الأمم ، لكن الشكل

---

١ . بين أدبين: دراسات في الأدب العربي والانجليزى، الدكتورة فاطمة موسى، ص١٢ .

٢ . المرجع السابق ، ص ٢٦ .

الحالي من فن الرواية المعاصرة هو غربي الجذور والمنبت ، وكان ذلك نتيجة طبيعية للانفتاح الواسع من الشرق العربي إلى الغرب الأوروبي سواء نتيجة المجهودات الرسمية والمؤسسات وكذلك المجهودات الفردية .

لقد برزت الرواية العربية في شكلها الحالي في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر ، فالروايات التي كتبت بدءً من عام ١٨٦٧م حتى بداية القرن العشرين ، كانت موزعة بين أسلوب المقامات ولغتها الزخرفية واحتوائها على المعلومات غير المتجانسة ، وبين الوقوع تحت تأثير الروايات الغربية الرديئة والتي كانت حسب انتخاب المترجمين الصغار ، مليئة بالغرائب والأوهام وغارقة في العاطفة والخيال . وكانت في بدأتها تحت تأثير عاملين : الحنين إلى الماضي ، والافتتان بالغرب والخضوع لهيمنته . وفي هذه المرحلة أصبحت الرواية بمقاييسها الغربية من حيث الشكل ، هي السائدة ، خاصة بعد مساهمة الروايين العظام مثل المازني ، وتوفيق الحكيم ، وطه حسين . وهكذا أصبحت الرواية في هذه المرحلة فناً أدبياً قائماً بذاته ، إذ أخذت تتنوع وتتطور من حيث اللغة والموضوعات . ولأن مصر كانت أكثر تطوراً من ناحية الإمكانيات الفكرية والصحفية .

لاقت الرواية بشكلها الجديد اهتمام القارئ بصفة عامة ، وبدأ تاريخ كتابة الرواية العربية كما يرى النقاد مع الأديب محمد حسين هيكل وروايته " زينب " التي أرخ بها بداية الرواية الفنية في مصر وفي العالم العربي . ثم بدأت أسماء أخرى تكتب في الميدان نفسه منها : توفيق الحكيم ونجيب محفوظ ويوسف إدريس وأمين أرسلان ، وشكري العسلي و أمين الريحاني ، وجرجي زيدان ، وغيرهم .

إن مولد الرواية العربية الحديثة اقترن بمواليد جديدة أخرى شملت مرافق حياتنا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعقلية والأدبية على السواء . هذه المواليد الجديدة المتشابهة في أهدافها الكبرى صدرت كلها من منبع واحد هو يقظة الوعي في الرأى ، لقد كانت الشخصية المصرية غير واضحة المعالم والسمات صائقة بين تيارات أجنبية وشبه أجنبي فاتجهت الأفكار إلى تقويم الشخصية المصرية وإبرازها والكشف عن قواها وطاقاتها في الحياة .

وزاد كتاب الرواية الأكثر نضجاً فنياً ،فكتب توفيق الحكيم رواية" عودة الروح " سنة ١٩٣٣م، ثم رواية " يوميات نائب في الأرياف " سنة

١٩٣٦م،وكتب عباس العقاد رواية " سارة " سنة ١٩٣٣م، وكتب طه حسين رواية " أديب " سنة ١٩٣٦م ، ثم كتب يحى حقي " قنديل أم هاشم " سنة ١٩٤٤م،وهكذا رسخت الرواية في مصر بشكل خاص وفي الوطن العربي بشكل عام .

ركزت في بدايات نشأتها على موضوعات الحكمة والموعظة وترسيخ الجانب الأخلاقي ، فضلا عن الجانب الرومانسي الذي خيم على بعض الأعمال الروائية العربية .

وقد كان لعدد كبير من المهاجرين من الشوام أثرهم الكبير في مصر " إذ تأثر بهم بعض الكتاب المصريين ، من أمثال عبد الله نديم وعلي مبارك في قصصه " علم الدين " كما يحسب للثورة العرابية أنها دفعت بعض الشوام لاتخاذ فن الرواية وعاء لتقديم منجزات الحضارة الغربية أو التقليد للروايات الغربية مباشرة وبمجيئ ثورة ١٩١٩م كانت مصر تشهد محاولات أخرى لتطوير الرواية بعيدا عن الشوام وتمثل ذلك في " حديث بن هشام " للمويلحي و " ليالى سطيح " لحافظ إبراهيم ، وكلاهما – المويلحي وحافظ آثر الشكل العربي مطعما إياه بالأثر الشرقي للتراث القديم وما لبثت الرواية أن تطورت أكثر على يد محمد حسين هيكل وتوفيق الحكيم وغيرهما في ذلك الوقت " .[١]

إن الرواية العربية نشأت بعد الاتصال بالحضارة الأوروبية في أواخر القرن التاسع عشر على أيدي الأدباء والفنانيين الذين تعرفوا على الثقافة الأوروبية والرواية الأوروبية ونقلوا إلى العربية بعض الروايات الأوروبية وصاغوا بعض أعمالهم صياغة روائية ، مثل ترجمة رفاعة الطهطاوي لرواية فينيلون الفرنسي " مغامرات تليماك Les Aventures de telemaque " وقد ظهرت هذه الترجمة سنة ١٨٦٧م وترجمة سليم البستاني لـ " الياذة هوميروس " . فالرواد الأوائل سعوا لكتابة الرواية ، مثل "تخليص الإبريز " للطهطاوي ، و " الهيام في جنون الشام " و " الساق على الساق " لأحمد فارس الشدياق وغيرها من الأعمال الروائية العربية الأولى التي تأثرت بآثار الحضارة الأوروبية وثقافتها ورواياتها .

لكن الرواية العربية ظهرت في البداية بالأشكال القصصية المحددة في الأحداث والشمول والتصوير والزمن وفي الموضوعات الخيالية والوهمية ،

[١] . الاتجاه القومي في الرواية : عبد الغني مصطفى ، ص٢٣ .

ثم تطورت إلى شكل القصص الطويلة بصفة غير محددة في الشمول والأحداث والقالب . وكانت موضوعاتها على أساس الأمور الغيبية والخيالية، كي يرضى القراء والسامعون لها . ثم ترجع إلى وقائع الحياة العادية فصارت تعالج الوقائع الإنسانية والنفسية والاجتماعية . فالرواية من الفنون الأدبية التي نشأت في الغرب مع نمو المجتمع الإنساني ونمو الثقافة .

ثم نمت الرواية العربية وتقدمت على أيدي الروائيين العرب على منهج الرواية الغربية ، وتطور شكل الرواية العربية واتسعت مفاهيمها في الأدب العالمي وتطورت العناصر المتعارف عليها في فن الرواية ، من استبعاد الشخصية البطولية واختفاء الأبطال ، وتقطيع الزمن والمكان ، وتفتيت الشخصيات وتقليص دور الراوي والسرد والتركيز على الأشياء دون البشر ، والاكتفاء بالمشاهد المتحركة والمتداخلة ، إلى غير ذلك من التطورات اللازمة لتطور فن الرواية والنمو الاجتماعي والتقدم العلمي والقيم ومشكلات الحضارة على صفحات الرواية العالمية الحديثة .

فالرواية تتناول مشاكل الحياة ومواقف الإنسان منها في ظل النمو الحضاري السريع الذي شهده المجتمع الإنساني ، فنجد في أوائل القرن العشرين محاولات بسيطة في كتابة الرواية العربية تحيط موضوعات تاريخية واجتماعية وعاطفية بأسلوب تقريري مباشر لتسلية القارئ وتعليمه . ثم بعد ذلك محاولات فنية جادة في كتابة الرواية ، منها رواية " زينب " سنة ١٩١٤م لمحمد حسين هيكل ، ورواية " سارة " لعباس محمود العقاد ، ورواية " دعاء الكروان " للدكتور طه حسين ، ورواية "جال خالد" لإبراهيم عبد القادر المازني .

إن توفيق الحكيم يقول في ضرورة التأثر بالحضارة الأوروبية بصورة عامة هكذا :

" نحن نعيش اليوم في عصر حضارة عظيمة هي الحضارة الأوروبية فأي جهل منا بفرع من الفروع لهذه الحضارة معناه التخلف والقعود ، إن روح الحضارة الإسلامية الحقيقية كان الطموح إلى الأمام على قدر الإمكان بكل الأفكار والمعارف والعلوم والفنون الشائعة في الحضارات المعاصرة لها ، فإذا أردنا القيام بعصر نهضتنا جدياً فعلينا التشبه بهذه الروح أم أن نظن النهضة في مجرد تقليد الغرب بالحالة التي وقفوا عندها يوم انهيارهم أمام المغول ، دون أن نلقي بالاً إلى القرون والأجيال التي

انطوت وذهبت وفصلت ذلك العهد عن عهدنا الحاضر بما استجد فيه من علوم وفنون وأساليب حديثة فهو حمق وعمي وجهل لو اطلع عليه العرب الأقدمون أنفسهم لسخروا منه منا " .[1]

لكن هنا جدير بالذكر أن مقدمات الرواية الأوروبية في القصص والحكايات والملاحم كانت موجودة في التراث القصصي العربي ، وحداثة الرواية العربية تماثلها حداثة الرواية الغربية ، والفجوة بينهما جاءت من الفجوة التي نشبت بين الحضارتين : الحضارة العربية والحضارة الغربية ويقظة أوروبا ونهضتها . وإنما كانت الحضارة العربية قد مدت الحضارة الأوروبية بإبداعاتها وإنجازاتها فإن القصة العربية قد أضافت الرواية الغربية بينابيع وروافد قصصية . بينما جاءت الرواية العربية في عهد الاستعمار الأوروبي والاحتكاك بالحضارة الأوروبية في أوج عنفوانها لتمد بصرها إلى الرواية الأوروبية . واتجه الروائيون الغربيون إلى التراث القصصي العربي ، وأثرت الأعمال القصصية والروائية العربية في الرواية الغربية وأضافتها بأشكال عديدة ومضامين موضوعات شتى ، مثلا قصص " ألف ليلة وليلة " أنموذجاً حياً لتأثير القصة العربية في الرواية الغربية وثقافتها ونالت " ألف ليلة وليلة " من اهتمام كتاب الغرب أكثر مما لاقت في الشرق العربي .

وأخيرا نصل إلى هذه النتيجة وهي أن الرواية تختلف عند الطبقات المختلفة لاختلاف تفكيرهم وحاجتهم وأهدافهم في الحياة وفي عبر العصور ابتعدت الرواية عن حالتها الوهمية والخرافية شيئاً فشيئاً حتى تصل إلى قمتها في العصر الحديث والمعاصر لتظهر بشكل الرواية الفنية بموضوعاتها المختلفة . إن نشأة الرواية في الأدب العربي ترتبط ارتباطاً مباشراً بالأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية في العالم العربي خاصة مصر ، وبعد العصر العباسي وبداية الحكومة العثمانية وبعده في القرون الثلاثة التي سيطر عليها الحكم التركي على مصر .

ورفضت الرواية العربية في العقود الأخيرة بأتباعها للرواية الغربية فكفت عن تقليدها ، وبدأت تبحث عن أصالتها وهويتها الخاصة بعد أن تعلمت منها أصول الرواية وتقنياتها المعاصرة . وقد حقق الرواية العربية هذه النقلة الهامة على طرائق انتمائها وأصالتها بالعودة إلى التراث

[1] . زهرة العمر : توفيق الحكيم ، ص١٦٩- ١٧٠ .

القصصي والروائي .

**الكتابة الروائية العربية في بدء الاتصال مع الغرب :**

إن الرواية العربية قطعت شوطا بعيدا في وعي الغرب انجذابا ونفوراً لكي تترجم إلى مسالك ومواقف حضارية في الواقع العربي . فقد شغل الغرب مركز اهتمام المؤلف الروائي منذ البدايات الأولى أي منذ رحلة الشيخين : رفاعة رافع الطهطاوي وعلي مبارك .

فهاجس الغرب سكن المتن الروائي العربي في بواكيره ، مقتفياً أثر أدب الرحلات الذي جاء نتيجة الاتصال الشخصي المباشر بالغرب ، منذ تلك الرحلة التي قام بها الشيخ رفاعة الطهطاوي إلى باريس بناءاً على رغبة والي مصر محمد علي ، فهناك شاهد ما لا عين رأت في ماضي العرب ، ولا خطر على قلب شرقي بالرغم من رؤيته التي كان موروثه الثقافي ورؤية تراعي الخصوصية وتجمع بين علوم الدين والدنيا ، ولكنها في كل الأحوال لم تنج من الاندهاش والانبهار بالغرب ومنجزاته المادية العلمية والتكنولوجية . وتلك المشاهدات دونها الطهطاوي في باريس ضمن كتابه " تخليص الإبريز في تلخيص باريز " .

وتبعه في هذا العمل أحمد فارس الشدياق على كتابيه " الساق على الساق فيما هو الفارياق " و " كشف المخبأ عن فنون أوروبا " بعد القيام نحو سنتين ونصف في باريس . ومثله فعل أحمد زكي باشا في كتابيه " السفر إلى المؤتمر " و " الدنيا في باريس " بعد قيامه برحلتين ، الأولى لتمثيل مصر في مؤتمر المستشرقين في لندن سنة ١٨٩٢م استجابة لاختيار الخديوي عباس له وهناك أقام ستة أشهر ، ودون ما شاهد في كتابه " السفر إلى المؤتمر " . أما الثانية فكانت إلى باريس سنة ١٩٠٠م وسجل مشاهداته بباريس في كتابه الثاني " الدنيا في باريس " .

فمن هؤلاء الروائيين العربيين المبعوثين إلى الغرب من رأه من قريب وصور اللقاء الحضاري انطلاقا من تجاربه الشخصية الروحية والفكرية ، كطالب يعد للحصول على درجة علمية في إحدى جامعات العواصم الغربية وبدلاً من اتخاذ السيرة الذاتية أو المذكرات قالباً لتصوير هذه التجربة ، فإنه اختار فن الرواية ليقدم في إطارها تجاربه الشخصية التي عايشها في الاتصال بين الشرق والغرب . ومن الروايات العربية الأولى التي عاينت الغرب عن قريب " عصفور من الشرق " عام ١٩٣٤م لتوفيق

الحكيم و " أديب " عام ١٩٣٤م لطه حسين و " الحيّ اللاتيني " عام ١٩٥٣م لسهيل إدريس ، و " قنديل أم هاشم " ليحي حقي و " موسم الهجرة إلى الشمال " عام ١٩٦٦م للطيب صالح ، وغيرها كثير من الروايات ، وإن كانت هذه الروايات لم تخل في طريقة الكتابة من أسلوب الرسائل والمذكرات والسيرة الذاتية .

وقد نقلت إلينا هذه الروايات من خلال الشخصيات التي زخرت بها صوراً عن فحوى هذا اللقاء – بغض النظر عن صحتها أو زيفها – أنها صور للحياة الجديدة التي يعيشها بطل روائي عربي قدم من الشرق ليستقر في قلب الحضارة الأوروبية بكل أطيافها ، ولتجسيد صور هذا اللقاء وجعله حسياً مؤثراً ، قدم لنا هؤلاء الروائيون الغرب في صورة امرأة كرمز يتحدث من خلاله عن طبيعة هذا اللقاء الحضاري ، مثل " سوزي ديبون " أو " جانين مونترو " أو " جين موريس " و " آن همند " و " شيلا غرينود " و " إيزابيلا سيمور " أو " كاترين " وغيرهن . هؤلاء النساء الغربيات اللواتي تتعدد أسماؤهن كما تتعدد شخصياتهن على خلاف المرأة العربية التقليدية التي خلفها البطل وراءه في وطنه . فتصوير المرأة في كل من الشرق والغرب محاولة لإظهار ذلك الصراع الذي ينشب في أعماق الشباب عند ممارسته لأسلوب جديد في الحياة .

فللمرأة رمزية مليئة بالدلالات التاريخية والفنية والحضارية منذ البداية الأولى للفنون والآداب ، فالموقف من المرأة موقف من الحياة ، وهي في الرواية العربية تمثل البديل المنشود وتجسد عملية البحث عن سبيل إنساني حضاري وثقافي غير موجود في الشرق . إنه البحث عن إمرأة مثقفة تحقق بها الشخصية الروائية ذاتها وتواجه بها قلقها ، وفشلها في هذه العلاقة ليس فشلا ذاتيا بقدر ما هو فشل تاريخي بين المثقف العربي والثقافة الغربية .

فالعلاقة بين الشرق والغرب في بدايتها كان فيها كثير من الاندهاش والشعور بالدونية التي يحسها المثقف العربي إزاء منجزات الغرب الحضاري الجمالية والعلمية . ثم تتطور هذه إلى علاقة إيجابية قائمة على التواصل والتعايش والحوار والاحترام والتكامل ، وقد تكون هذه العلاقة متوترة مبنية على الصراع الجدلي والعدوان والكراهية حتى ليبدو الشرق شرقا والغرب غربا ، ولن يلتقيا أبداً .

فهكذا ممكن أن نقول أن الرواية الحديثة ظهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين ، بتأثير من عدة عوامل ، أبرزها :

- التراث القصصي العربي .
- الترجمة والإطلاع على الروايات الأوروبية .
- تحولات النهضة ودوافع التقدم .
- انتشار الطباعة وتطور الصحافة .

وظهرت الرواية العربية في القرن العشرين مع جميع قواعدها وعناصرها الفنية ، وكان هذا مع مساعي الأدباء والفنانين الذين كانوا متأثرين بالثقافة الغربية ، أمثال طه حسين وتوفيق الحكيم والمازني ومحمود تيمور وعبد الحميد جودة السحار ويوسف السباعي وإحسان عبد القدوس وغيرهم .

ومن الذين مضوا إلى مجتمعات غربية عن الوطن العربي ، وصدرت عنهم جهود روائية ، الدكتور محمد حسين هيكل حين نشر روايته الأولى سنة ١٩١٤م بإسم " زينب " . انتقل مشعل الرواية إلى أيدي الكتاب المصريين ، فيتوجه إليه كثير من الأدباء والمفكرين كانوا يقدرون الفن القصصي فكانوا يدعون إلى التجديد في مختلف مناحي الثقافية فمنهم شوقي أحمد ضيف ، وحسين هيكل ، و د . طه حسين ومنصور فهمي وغيرهم من الأدباء الكبار خاصة نجيب محفوظ ، وهو أول أديب عربي ينال جائزة نوبل للأدب عن روايته " أولاد حارتنا " عام ١٩٨٨م ، وتمكن على عرش الرواية المصرية في قمة لم يصل إليها كاتب روائي في مصر . فصار إسمه مألوفا عند القارئ الغربي ، وإن بدرجة أقل من القراء العربيين . فمن أعماله المبكرة " مصر القديمة " عام ١٩٣٢م ، و " عبث الأقدار " عام ١٩٣٩م ، و " رادوبيس " عام ١٩٤٣م ، و " كفاح طيبة " عام ١٩٤٤م ، و " القاهرة الجديدة " عام ١٩٤٥م ، و " خان خليلي " عام ١٩٤٦م ، و " زقاق المدق " [1] عام ١٩٤٧م ، و " بين القصرين " عام ١٩٥٦م ، و " قصر الشوق " عام ١٩٥٧م ، و " السكرية " عام ١٩٥٧م ، و " اللص والكلاب " عام ١٩٦١م ، و " ثرثرة فوق النيل " عام ١٩٦٦م ،

١ . أول روايات نجيب محفوظ المترجمة إلى اللغة الفرنسية في ١٩٧٠م ، وقد ترجمها أنطون كويتن ، وأطلق عليها عنوانا جديدا ، هو "زقاق المعجزات" .

و" أولاد حارتنا "عام ١٩٦٧م ، و" الحب تحت المطر" عام ١٩٧٣م ، و"حكايات حارتنا " عام ١٩٧٥م ، و"قشتمر"عام ١٩٨٩م . وحاول فيها استناداً من وقائع التاريخ المصري القديم بناء رواية تاريخية بدلالات لا تفتقر إلى المعاصرة ، لكنها أيضا لا تبتعد كثيراً عما أنجزته الرواية العربية في بداياتها التاريخية كما عند جرجي زيدان أو غيره ممن اختاروا هذا النمط من السرد واشتهروا به .

**المراجع والمصادر :**


١. الاتجاه القومي في الرواية : عبد الغني مصطفى ، الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٩٤م .
٢. بين أدبين – دراسات في العربي والإنجليزي : الدكتور فاطمة موسى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٥م .
٣. تاريخ الأدب العربي : حنا الفاخوري ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨٦م .
٤. تطور الأدب الحديث في مصر من أوائل القرن التاسع عشر إلى قيام الحرب الكبرى الثانية : د . أحمد هيكل ، الطبعة السادسة ، دار المعارف القاهرة ١٩٩٤م .
٥. تطور الرواية العربية الحديثة في مصر(١٨٧٠- ١٩٣٨م) : د . عبد المحسن طه بدر ، دار المعارف المصرية ، الطبعة الثالثة مزيدة ومنقحة ١٩٧٧م .
٦. دراسة في نقد الرواية: د. طه وادي، الطبعة الثالثة،دار المعارف القاهرة ١٩٨٤م.
٧. الرواية العربية : روجر آلان ، ت . حصة إبراهيم المنيف ، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة ١٩٩٧ م .
٨. زهرة العمر : توفيق الحكيم ، مكتبة الأسرة ، مصر ١٩٩٨م .
٩. الفن القصصي في الأدب المصري الحديث ١٨٠٠- ١٩٥٦ : محمود حامد شوكت ، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٥٦م .
١٠. الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة : أنيس المقدسي ، الطبعة السادسة ، دار العلم للملايين بيروت ٢٠٠٠م .
١١. لسان العرب : الإمام العلامة أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري ، بيروت .
١٢. The New Encyclopedia Britannica, ١٥th edition,١٩٩٤, U .S .A .
١٣. Modern Arabic Literature ١٨٠٠-١٩٧٠ : John A . Haywood, Lund Humphries, London, First edition ١٩٧١ .

# نبذة عن مساهمة الهنود في النثر العربي في القرن العشرين

( الحلقة الثالثة الأخيرة )

الباحث حفظ الرحمن السنابلي*

**مساهمة الهنود في النثر العربي بإصدار الصحف والجرائد والمجلات :**

وحينما نتحدث عن جهود الهنود ومساعيهم بهذا الصدد ، نجد أنه لم تقتصر مساهمتهم على التصنيف والتأليف ، والدرس والتدريس فحسب ، بل انطلقوا في مضمار الصحافة أيضاً ، وتصدوا كأعمدة أمام الزوبعة والتحديات تجاه اللغة العربية والأمة الإسلامية ، وقاموا بإصدار الصحف والمجلات والجرائد التالية .

" البيان " صدرت من لكناؤ تحت رعاية الشيخ عبد الله العمادي عام ١٩٠٢م ، " الجامعة " صدرت من كولكاتا تحت إشراف مولانا أبو الكلام آزاد عام ١٩٢٣م ، " الضياء " أنشأها من ندوة العلماء مسعود الندوي عام ١٩٣٢م ، " ثقافة الهند " أصدرها المجلس الهندي للعلاقات الثقافية بالهند عام ١٩٥٠م ، " صوت الشرق " صدرت عام ١٩٥٢م تحت رئاسة خليل جرجس خليل من السفارة الهندية بالقاهرة ، " البعث الإسلامي " صدرت أولا من المنتدى الأدبي بلكناؤ في رعاية محمد الحسني عام ١٩٥٥م ولا تزال تصدر منذ ٦٢/ عاماً ، " الرائد " تصدر من ندوة العلماء لكناؤ منذ عام ١٩٥٩م ، " دعوة الحق " (١٩٥٦م) و" الكفاح " (١٩٧٢م) و" الداعي " (١٩٧٦م) قام بإصدارها الأستاذ وحيد الزمان الكيرانوي ، " صوت الأمة " تصدر من الجامعة السلفية ببنارس منذ عام ١٩٦٩م ، " الهند " أجرتها السفارة الهندية بدمشق عام ١٩٧٢م ، "المجمع العلمي الهندي " قام بإجرائها قسم اللغة العربية بجامعة علي كراه عام ١٩٧٦م، " مجلة الرابطة الإسلامية " صدرت من نيودلهي عام ١٩٨٦م ، و " مجلة الصحوة الإسلامية " صدرت عام ١٩٨٩م بحيدر آباد [١] ، ومجلة "

---

* الطالب ببكالوريوس في التعليم والتربية، كلية التعليم والتربية، الجامعة الملية الإسلامية.

[١] الصحافة العربية في الهند : نشأتها وتطورها ، ص : ٩١- ٢٢٢ .

سنابل " من الجامعة الإسلامية بسنابل منذ عام ١٩٩٨م .

**مساهمة الهنود في النثر العربي بإلقاء الخطب والدروس والمحاضرات :**

هناك جماعة من الهنود الذين لم يؤلفوا ولم يترجموا أي كتاب ، ولكنهم لم يألوا جهدا في نشر اللغة العربية وترويجها ، وأدوا فرائضهم وواجباتهم عن اللغة العربية بكل إخلاص ، فقاموا بإلقاء الخطب والدروس والمحاضرات في المدارس والمساجد والمجالس العلمية إلى أن استأثر الله بهم ، وهم :

الأستاذ معراج الحق الديوبندي ، والأستاذ محمد إبراهيم بلياوي (ت١٩٦٧م) ، والأستاذ نصير أحمد خان الديوبندي ، والأستاذ شاه أبوالقاسم الفاروقي ، والأستاذ عبد الرحمن نوغانوي ، والأستاذ محمد عمران خان الندوي ، والأستاذ نسيم أحمد الفريدي (ت١٩٨٨م) ، والأستاذ عبد الجبار الأعظمي (ت١٩٨٨م) ، والأستاذ عبيد الله الفراهي ، والأستاذ عبد الحميد الرحماني (ت٢٠١٣م) ، والأستاذ نذير أحمد أملوي ، والأستاذ عميد الزمان الكيرانوي ، والأستاذ ضياء الحسن الندوي (٢٠٠٣م) [١] وغيرهم .

**مساهمة النساء الهنديات في النثر العربي :**

يكون من الخيانة ومن نكران الجميل إن لم نتحدث عما جاءت به النساء الهنديات من العجائب ومن البحث والتحقيق ، وبما قمن بمجهودات والمساهمات في إثراء اللغة العربية والحفاظ عليها ، وهن :

١. الدكتورة جويرية جميل النساء ، حققت السيدة وعلقت على " غريب الحديث " و " إصلاح الغلط في غريب الحديث " . [٢]
٢. الدكتورة عصمت لطيف مهدي، لها كتاب" أخبار الأدب" ترجمته من الأردوية لقرة العين حيدر، واسم الكتاب بلغة أردو ( *نظارہ درمیان ہے* ) [٣]
٣. الدكتورة فرحانة طيب صديقي (ت٢٠١١م) ، من تأليفات السيدة " مساهمة المرأة في الأدب العربي " و " نازك الملائكة وآثارها الأدبية

---

١ " *آزاد ہندوستان میں عربی زبان وادب* " ص : ٤٢٦و٤٤٨ .
٢ المصدر السابق ،ص : ١٨٤ .
٣ المصدر السابق ،ص : ٢٧٣ .

الشعرية " .[1]

٤. الدكتورة قمر النساء ، ألفت السيدة " العلامة فضل حق الخير آبادي : حياته وآثاره العلمية " .[2]

٥. الدكتورة مه جبين أختر ، قامت بتأليف " التلخيص العربية للناشئين " و " مساهمة الشيخ عبده في الأدب العربي " و " المختارات من النظم والنثر " .[3]

٦. الدكتورة هيفا شاكري ، الأستاذة المساعدة في قسم اللغة العربية بالجامعة الملية الإسلامية .

**الأعلام البارزة في اللغة والأدب في القرن العشرين و الراهن :**

عبد العزيز الميمني ، أبو الحسن علي الندوي ، حميد الدين الفراهي ، وحيد الزمان الكيرانوي ، محمد الرابع الحسني ، سعيد الرحمن الأعظمي ، محمد الحسني ، محمد واضح رشيد الندوي ، محمد مقتدى الأزهري ، مسعود الرحمن الندوي ، الدكتور إحسان الرحمن ، الدكتور محمد أسلم الإصلاحي ، الدكتور فيضان الله الفاروقي ، الدكتور ولي أختر الندوي ، البروفيسور شفيق أحمد خان الندوي ، البروفيسور زبير أحمد الفاروقي ، الدكتور أيوب تاج الدين الندوي ، الدكتور عبد الماجد القاضي ، البروفيسور شبير أحمد الندوي ، الدكتور محمد حسان خان وغيرهم .

**مسك الختام :**

وزبدة ما ذكرته آنفا أن الهنود مازالوا ولا يزالون يقومون بدور قيادي فعال في تطوير اللغة العربية في شبه القارة الهندية ، وخاصة لم يعد لي من الممكن أن أنسى بإسهاماتهم الجليلة تجاه النثر العربي .

وأما الهنود في القرن العشرين فلم يدخروا وسعا في إثراء اللغة العربية وآدابها وتنمية مواردها ، وحتى لم يفرقوا بين الظل والحرور ،

---

١ مجلة الآداب العربية ٢٠١٢م ، (عدد خاص) في ذكرى الأستاذة فرحانة طيب الصديقي .

٢ " آزاد ہندوستان میں عربی زبان وادب " ص : ٢٤٩ .

٣ المصدر السابق ، ص : ٣٧٩ .

وصرفوا كل نفيس ورخيص صيانة لفيوضها ، بل قدموا خدمات لا يستهان بها بحيث شرحوا غموضها ، وذللوا صعابها ، ويسروا أمرها ، وظهر عشرات من الكتب في شكل أمهات العلوم والفنون التي لا غنى عنها لكاتب ، ولا غاية بعدها لطالب .

وأما نحن الآن فكوننا أخلاف الأسلاف ، سيكون من سعادة روحنا وحسن حظنا ، أن نتمكن من الحفاظ على هذه الدرر العلمية والثروات الثقافة ، وصون هذه النوادر الأدبية .

اللهم أوزعنا أن نقدر هذه المفاخر الجليلة حق قدرها ، ونعترف بالفضل لأهلها – آمين .

**المراجع والمصادر :**

**الكتب العربية :**


١. أبو الحسن بن محمد الصغاني – العباب الزاخر واللباب الفاخر – المجلس الوطني للهجرة ، إسلام آباد ، الطبعة الأولى عام ١٩٩٤م .
٢. الدكتور أشفاق أحمد الندوي – مساهمة الهند في النثر العري خلال القرن العشرين – الطبعة الأولى عام ٢٠٠٣م .
٣. الدكتور أيوب تاج الدين الندوي – الصحافة العربية في الهند : نشأتها وتطورها – دار الهجرة ، جامووكشمير ، الطبعة الأولى عام ١٩٩٧م .
٤. الدكتور أيوب تاج الدين الندوي – محمد الحسني : حياته وآثاره – مؤسسة فيصل التعليمية ، الطبعة الأولى عام ٢٠٠٤م .
٥. الأستاذ جميل أحمد – حركة التأليف باللغة العربية – وزارة الثقافة الإرشاد القومي ، دمشق ، سنة الطباعة ١٩٧٧م .
٦. البروفيسور زبير أحمد الفاروقي – مساهمة دار العلوم ديوبند في الأدب العربي حتى عام ١٩٨٠م – دار الفاروقي للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى عام ١٩٩٠م .
٧. مولانا عبد الحي الحسني – نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر – دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، (الجزء الثامن : الطبعة الأولى عام ١٩٧٠م) و( الجزء السابع : الطبعة الأولى عام ١٩٥٩م .

٨. عبد الحي الحسني – الثقافة الإسلامية في الهند – المجمع العلمي العربي ، دمشق ، سنة الطباعة ١٩٥٨م .
٩. الدكتور محمد الفاروقي – تاريخ العربية وآدابها – مكتبة سهارا للنشر والتوزيع ، كالي كت ، سنة الطباعة ٢٠١٠م .
١٠. الدكتور محمد مظفر حسين الندوي – أماثل كشمير – بيت الحكمة الندوية ، سري نجر ، سنة الطباعة ٢٠٠٤م .

**الكتب الأردية :**

١. الدكتورة رضية حامد – نواب صديق حسن خان – مطبعة باب العلم للنشر ، دلهي ، الطبعة الثانية عام ١٩٩٨م .
٢. الدكتور قمر رئيس – ہندوستان کی درسگاہیں – جمعية " همدرد " التربوية ، نيو دلهي ، الطبعة الأولى عام ١٩٩٦م .
٣. محمد إرشاد الندوي – آزاد ہندوستان میں عربی زبان وأدب – مطبعة الفرقان ، نيا غاؤن ، الطبعة الأولى عام ٢٠٠٩م .

**المجلات والجرائد :**

١. مجلة الأداب العربية ٢٠١١م (عدد خاص) عن " تطور اللغة العربية وآدابها في الهند – رئيس التحرير : صفدر إمام – قسم اللغة العربية بالجامعة الملية الإسلامية ، نيو دلهي .
٢. مجلة الآداب العربية ٢٠١٢م (عدد خاص) في ذكرى الأستاذة فرحانة طيب الصديقي – رئيس التحرير : محمود عاصم الشيرازي – قسم اللغة العربية بالجامعة الملية الإسلامية ، نيو دلهي .
٣. مجلة " ثقافة الهند " ٢٠٠٢م – العدد الأول ، رئيس التحرير : ضياء الحسن الندوي – المجلس الهندي للعلاقات الثقافية ، نيو دلهي .
٤. مجلة " ثقافة الهند " ٢٠٠٥م – العدد الثاني ، مدير التحرير : رضوان الرحمن – المجلس الهندي للعلاقات الثقافية ، نيو دلهي .
٥. مجلة " سنابل " ٢٠٠٩م – العدد الحادي عشر المشرف : وسيم أحمد المدني – لجنة الصحافة ، بالجامعة الإسلامية سنابل ، نيو دلهي .

# دور الشيخ القاضي مجاهد الإسلام القاسمي في إنشاء معاهد الدراسات الفقهية في الهند

الأستاذ آفتاب احمد *

إن الشيخ القاضي مجاهد الإسلام القاسمي (٢٠٠٢م – ١٩٣٦م) ، كان واحداً من أبناء الهند الأفذاذ الذين خاضوا معركة الحياة رغم قلة الموارد ، وقاموا بخدمات جليلة لا يمكن للأمة المسلمة أن ينساها مهما كانت ، في الحياة العلمية والثقافية والدينية ، إنه كان قاضياً موهوباً ، وخطيباً بارعاً ، و قائداً كبيراً للأمة المسلمة الهندية .

بدأ الشيخ القاسمي حياته العلمية و الاجتماعية ، كما يبدأ المتخرجون من المعاهد الإسلامية في الهند عادة . وبعد التخرج من دارالعلوم ديوبند عام ١٩٥٥م ، قام الشيخ القاضي بالتدريس في مدرسة بمدينة مونجير ، إحدى مديرية ولاية بيهار .

وتولى الشيخ القاضي منصب القاضي في الإمارة الشرعية لولايتي بيهار وجارخند وأوريسة (الآن أوديشة) ، حيث ظل يعمل بها لحين وفاته يوم الخميس ٤ أبريل ٢٠٠٢م .[1] ونفخ الشيخ القاضي فيها روحاً جديدةً وأثبت كفاءته المنقطعة النظير تجاه تنفيذ الشريعة الإسلامية وتطبيقها في المجتمع الإسلامي ، وأدى واجباته أحسن أداء في مجال القضاء ، حتى عرف بلقب " القاضي " ، وأصبحت كلمة القاضي جزءً لا ينفك من اسمه بل غلب على اسمه الأصلي ، وتقدمت الإمارة الشرعية وتطورت وازدهرت وأصبحت بمثابة شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، وذاع صيتها خارج ولايتي بيهار وجارخند وأديشه . ولقد وهب نفسه للإمارة وظل يخدم كقاضي القضاة ونائب أمير الشريعة لولايتي بيهار وجارخند وأديشه

* مسئول البرنامج ، المركز الثقافي العربي الهندي الجامعة الملية الإسلامية ، نيو دلهي .

[1] . ( الشيخ القاضي مجاهد الإسلام القاسمي ، أفكاره وخدماته الفقهية ) للسيد آفتاب عالم الندوي ، ص ٢٨ – ٢٩ .

باستمرار، من عام ١٩٦١م إلى آخر أنفاسه .[١]

وتمَّ تعيين الشيخ القاضي رئيساً لهيئة الأحوال الشخصية لعموم الهند عام ٢٠٠٠م ، بسبب فراسته الإيمانية والذكاء والانفتاح الذهني والبصيرة التامة بأوضاع العصر وظروفه .

ومن أهم أعمال الشيخ القاضي في توحيد صفوف المسلمين في الهند، هو تأسيس المجلس الملي لعموم الهند ، لا شك في أن وجد هناك عدد لا يحصى من المنظمات الإسلامية في الهند ، كانت قامت بدورها في مختلف مجالات الحياة الإنسانية والاجتماعية ، ولكن ما كانت هناك منظمة تعمل في توحيد صفوف المسلمين الهنود وتحسين أوضاعهم التعليمية والثقافية والاقتصادية . " فأسس الشيخ القاضي المجلس الملي لعموم الهند عام ١٩٩٢م لهذا الغرض ، وظل رئيسا له لحين وفاته . وأقام المجلس الملي فروعا له في أرجاء الهند كلها ، وعمل من أجل رفع مستوى المسلمين التعليمي والاجتماعي ، ووقف بجانبهم من أجل الحصول على الإنصاف من الحكومة وأجهزتها في الاضطرابات وشتى حوادث الفتن والاضطرابات " .[٢]

**إنشاء مجمع الفقه الإسلامي (الهند)**

مما لا شك فيه أن الشيخ القاضي كان يهتم كثيراً بالحفاظ على الشريعة الإسلامية وتطبيقها على المسلمين تطبيقاً صادقاً ، وكان يشعر بحاجة ملحة لإنشاء منظمة علمية وبحثية لدراسة الفقه الإسلامي في الهند ،وخاصة بعد أن حدث الانفجار العلمي وتسارعت تطوراته ، وتكدست اكتشافاته ، وتراكمت قضايا وتزاحمت مشكلات ، كأن العالم قد ظهر في ثوبه الجديد ، تغيرت العادات وتبدلت الأعراف ، وظهرت مخترعات ، واستحدثت عقود ، ووجدت أحوال في مجالات الاجتماع والاقتصاد والطب والسياسة والتجارة وما إلى ذلك ، واشتدت الحاجة إلى معالجة القضايا المستحدثة وتقديم الأحكام الشرعية لها .

فقام الشيخ القاضي بإنشاء مجمع الفقه الإسلامي عام ١٩٨٩م .

---

١.محمد قطب الدين الندوي، أكبر فقيه إسلامي فقدته الهند، ثقافة الهند ، المجلد ٣ العدد ١ ، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية ، نيودلهي ، ٢٠٠٢ ، ص ١٢٢ – ١٢٣ .

٢. الأستاذ نور عالم خليل الأميني ، الفقيه الهندي الفريد القاضي مجاهد الإسلام القاسمي، مجلة الداعي، العدد ٣ – ٤ ، السنة ٢٦ ، ٢٠٠٢ ، دارالعلوم ديوبند ، ص ٦٣ .

" تم إنشاء مجمع الفقه الإسلامي حسب خطة واضحة وضعها ورسمها القاضي مجاهد الإسلامة القاسمي رحمه الله بيده ، وقام بتأييده كبار علماء الهند مثل الشيخ أبي الحسن علي الندوي ، والشيخ منت الله الرحماني ، والشيخ المفتي نظام الدين الأعظمي ، والشيخ أبي سعود وغيرهم ، رحمهم الله أجمعين " .[1]

أهداف المجمع :

ومن أهم أهداف مجمع الفقه الإسلامي بالهند هي التوصل إلى الحلول للمشكلات الناجمة عن التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والصناعية ، والتطورات الحديثة ، وفق الأطر الإسلامية اهتداءً بالكتاب والسنة وآراء الصحابة وأقوال علماء السلف ، والبحث عن الحلول لمستجدات العصر الحديث ، ولما دعت تغيرات الظروف إلى استئناف البحث والدراسة فيه من القضايا القديمة في ضوء أصول الفقه الإسلامي عن طريق التحقيق الاجتماعي ، وإجراء الدراسة لمصادر الفقه الإسلامي وقواعده وكلياته والنظريات الفقهية شرحاً وتأويلاً وتطبيقاً في العصر الراهن . وعرض الفقه الإسلامي وشرحه في أسلوب حديث ومعاصر ، ودراسة وتحقيق الموضوعات الفقهية في ضوء المقتضيات العصرية ، والحصول على فتاوى وآراء العلماء المحققين المعاصرين والمؤسسات الدينية الموثوق بها في القضايا المستجدة ثم نشرها في أوساط جماهير المسلمين .

ومن أهدافها هو إيجاد الصلات مع جميع المؤسسات الفقهية والبحثية الأخرى داخل الهند وخارجها ، وتبادل المعلومات عن الإنجازات العلمية ، واختيار الفتاوى الصادرة من العلماء والمؤسسات الموثوق بها ، المطبوعة منها وغير المطبوعة التي هي بمثابة تراث فقهي وعلمي مهم ، وتهذيبها وعرضها في أسلوب عصري ، حفاظاً على التراث وتعميماً وتوصيلاً للفائدة إلى الأجيال القادمة ، وإطلاع الناس على المشكلات الناجمة في مجالات الاقتصاد والاجتماع والطب وأعراف البلدان المختلفة والبيئة والطبيعة السكانية في الهند وخارجها ، وإطلاعهم على نتائج

---

[1]. قرارات وتوصيات ، مجمع الفقه الإسلامي الهند ، ١٦١ – ايف جوغا بائي ، ص. ب: ٩٧٤٦ ، جامعه نغر ، نيودلهي ، ٢٠١٤ ، ص ٧ .

الدراسات والتحقيقات التى تتم حولها . والمجمع يهدف استعراض الأحكام الصادرة عن محاكم داخل الهند وخارجها حول شرح وتطبيق القوانين الإسلامية ونشر نتائجها ، واستعراض ما يثار من الشبهات ويورَد من الإشكالات حول قوانين الإسلام من قبل المستشرقين والآخرين ، وتقديم الرؤى الصحيحة عنها .

ويهدف المجمع إلى إعداد الكتب حول الأسئلة الجديدة والتحديات المواجهة للإسلام في أسلوب يوافق العصر ، ويشجع العلماء الشبان المتفوقين وإعدادهم ليكونوا باحثين محققين ، والاتصال بالعلماء ليساهموا في إعدادهم عن طريق ربطهم بمركز بحث موحَّد ، وإلى إعداد الفهارس في شتى الموضوعات الفقهية . ويبذل المجمع الاهتمام اللازم بتزويد المتفوقين من خرِّيجى المعاهد الدينية بمبادىء ضرورية للعلوم العصرية ، وكذلك بتثقيف أذكياء متخرجى الجامعات العصرية بمبادىء العلوم الفقهية والدينية ، وكل هذا يهدف إلى تكوين الشخصيات العلمية المتخصصة في العلوم الشرعية والواعية بمقتضيات العصر . وتحقيقاً للأهداف المذكورة يهتم المجمع بعقد المؤتمرات والندوات ، وتشكيل لجان الدراسة ، وإنشاء المؤسسات العلمية والبحثية ، واستخدام كل ما يحقق الأهداف حسب الإمكانيات المتوافرة .[1]

**انعقاد المؤتمرات و الندوات الفقهية :**

ومن خلال الأعوام الماضية ، قد تمكن المجمع من توفير مسار موحد لعلماء شتى المذاهب الفقهية ، و تقديم حلول لأكثر من مأة موضوع جديد ، وعقد مخيمات تربوية عديدة لطلاب المعاهد الدينية ، وتحقيق المخطوطات الفقهية ، وتقديم إصدارات قيمة في شتى اللغات المحلية والعالمية المختلفة . إن المجمع يعقد ندوة فقهية كل عام على الأقل لمناقشة الموضوعات و القضايا التي تطرحها متغيرات ومتجددات العصر ، متوخياً البحث عن الحلول الناجحة لها لتبصير الأمة المسلمة بمنارة الأحكام الشرعية في درب حياتها .

فقد قام المجمع بعقد أربع وعشرين ندوة فقهية عالمية في مختلف

---

١. مجمع الفقه الإسلامي الهند : تعريفه وأهدافه وأنشطته ، ١٦١ – ايف جوغا بائي ص. ب : ٩٧٤٦ ، جامعه نغر ، نيودلهي ، ٢٠١٤ ، ص١٣ – ١٥ .

البلدان الهندية ، وناقش كثيراً من موضوعات وقضايا طبية واجتماعية واقتصادية وتجارية وغير ذلك من القضايا المتعلقة بشؤون المسلمين وما إلى ذلك . وقد اشترك الوفود في هذه الندوات من الهند وخارجها . ومن أهم ميزات هذه الندوات أن العلماء البارزين في مجال الفقه الإسلامي ، قد اشتركوا فيها من البلدان الأجنبية ، مثل الولايات المتحدة الأمريكية ، وباكستان ، وجمهورية مصر العربية ، والمملكة العربية السعودية ، وبنغلا ديش ، والعراق ، والكويت ، وبريطانيا ، وسوريا ، وموريتانيا ، وقطر ، والإمارات العربية المتحدة ، وإيران ، وبروناي ، والبحرين ، وسري لانكا ، وماريشش ، وأفريقيا الجنوبية ، والجزائر ، وتركيا ، وأفغانستان وغيرها من البلدان الأخرى .

وهكذا قد نظم المجمع عدداً من الورشات الفقهية والدورات التدريبية والمخيمات التربوية في مختلف المدن الهندية لتدريب نخبة من المعلمين الشباب للمدارس والجامعات الهندية وفقاً لظروف العصر والوسائل الحديثة وتشجيع العلماء الشبان وإعدادهم ليكونوا باحثين محققين ، وحتى الآن قد عقد المجمع ٢١ ورشة و ١٤ دورات تدريبية على الموضوعات المختلفة مثل " مقاصد الشريعة الإسلامية " ، و " قضايا طبية معاصرة في ضوء الشريعة الإسلامية " ، و " فقه الأقليات " ، و " فقه الطب المعاصر " ، و " الاقتصاد الإسلامي و تطبيقاته العلمية " وغيرها من الموضوعات الأخرى .

**ترجمة الموسوعة الفقهية الكويتية :**

ومن أهم إنجازات المجمع هو إتمام ترجمة الموسوعة الفقهية الكويتية إلى اللغة الأردية ، وهي محتوية على خمسة وأربعين مجلدا ، وتحلى بالطباعة ١٢ مجلدا من الموسوعة الفقهية الأردية . وبمناسبة تدشين الموسوعة الفقهية في اللغة الأردية في دلهي ، قال الشيخ خالد سيف الله الرحماني ، الأمين العام للمجمع ، " إن هذا اليوم الذي اجتمعنا فيه معا لهو يوم مشهود يشهد العالم فيه أكبر إنجاز علمي في دنيا الثقافات والعلوم والموسوعات ألا وهو الاحتفال باكتمال ترجمة الموسوعة الفقهية إلى الأردية ، والمجمع إذ يقدم إليكم هذه الموسوعة الفقهية لسعيد جدا

بهذا الإنجاز العظيم ، فهو أكبر إنجاز لهذا القرن الحالي " .[1]

وهكذا قد أتم المجمع ترجمة أكثر من أربعين كتابا حتى الآن ، منها خمسة عشر كتاباً من العربية إلى الأردية ، واثنا عشر كتابا من الأردية إلى اللغة العربية ، و أحد عشر كتاباً من الأردية إلى الإنجليزية ، وخمسة كتب من الأردية إلى اللغة الهندية . قام المجمع بنشر وإصدار أكثر من مأة كتاب حتى الآن ، وهي متضمنة على مجلات فقهية إسلامية تحتوي على بحوث الندوات ، وكتب عديدة مترجمة ، وبعض كتب الفتاوى ، وهناك عشرات من المسودات والبحوث الفقهية الأردية الجاهزة للطباعة .

**تحقيق المخطوطات الفقهية :**

إن المجمع قام بتوسيع دائرة نشاطاته ، وركز جهوده على مجال التحقيق والدراسة والبحوث الاجتهادية ، فأصدر المجمع بعض الكتب بعد تحقيقها وترتيبها . ومن أهم الكتب هي " صنوان القضاء و عنوان الإفتاء " للقاضي عمادالدين الأشفورقاني السمرقندي ، و " مختارات النوازل " للعلامة برهان الدين المرغيناني ، و " علاقات المسلم مع غيره في ضوء التاريخ الهندي " ، و " قوانين علاقات دولية في ضوء اجتهادات الشيباني والأوزاعي " ، و غيرها . و لتعزيز العلاقات العلمية و تدعيم أسس التعاون العلمي المشترك في مجال البحث و التحقيق والدراسة ، وتبادل الخبرات والمهارات والتجارب والمعلومات المفيدة ، قام المجمع بتوقيع الاتفاقيات والمعاهدات مع عديد من المؤسسات والمنظمات والمعاهد العلمية والفكرية في العالم بما فيها دار الإفتاء المصرية ، بجمهورية مصر العربية ، والمجمع العالمي للفتاوى ، بجامعة العلوم الإسلامية ، ماليزيا ، وأكاديمية الشريعة ، الجامعة الإسلامية العالمية ، باكستان ، ومركز جمعة الماجد ، الإمارات العربية المتحدة ، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، المملكة المغربية ، ومجلس الشريعة ، بريطانيا ، ومركز التميز البحثي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض .[2]

---

١. نفس المصدر ، ص ٧١ .

٢. نفس المصدر ، ص١١٧ – ١١٨ .

**المعهد العالي للتدريب في القضاء و الإفتاء :**

لا شك في أن الإمارة الشرعية منذ تأسيسها في عام ١٩٢١م بذلت ولا تزال تبذل جهوداً جبارةً في خدمة الإسلام والمسلمين في الهند على كثير من المنصات الإسلامية والاجتماعية ، وخاصة قسمها المنفرد " قسم دارالقضاء والإفتاء " ، لعب دوراً هاماً في تصفية الخصومات العائلية مثل الطلاق وفسخ النكاح والوراثة والخلع وما إلى ذلك ، وهكذا قام بإرشاد المسلمين الهنود مع إجراء الفتاوى للمسلمين عبر العصور ، وقد قامت الإمارة الشرعية بإنشاء معهد لتدريب القضاة والمفتيين ، وهو يُعرف بالمعهد العالي للتدريب في القضاء والإفتاء .

ومن أهم الأهداف للمعهد العالي التابع للإمارة الشرعية هي تربية الجيل الجديد من العلماء الشباب لاستخدامهم في مختلف مجالات الخدمة الإسلامية كالتدريس والتعليم والدعوة والتوجيه والتصنيف والتأليف والإفتاء والقضاء ، وإعداد القضاة ورجال الإفتاء لسد حوائج الناس بصدد الحكم بنظام القضاء الشرعي في المحاكم الشرعية في جميع أنحاء الهند ، وتشويق الدارسين إلى مطالعة الفقه الإسلامي بجميع جوانبه مطالعة عميقة واسعة ، ودراسة أصول الاستنباط والقواعد والضوابط الفقهية ومقاصد الشريعة الإسلامية ، ومناهج الاستنباط وأصول الترجيح وتطبيق الأحكام الشرعية في الظروف المعاصرة ، ونقل التراث العلمي لأصحاب العلم والفضل السابقين والمعاصرين إلى الجيل الناشئ .[1]

هذا المعهد يعتني بدراسة الفقه الإسلامي وأصوله وقواعده وتاريخه من مصادرها الأصلية وأصول الإفتاء والفرائض ودراسة مقاصد الشريعة ودراسة مقارنة للمذاهب الفقهية الأربعة ودراسة الأحكام الواردة في القرآن مع الاهتمام البالغ بأحاديث الأحكام ، ودراسة القضاء والتعريف بالكتب المؤلفة في الموضوع ، وممارسة العملية التجريبية لأعمال الإفتاء والقضاء تحت إشراف قضاة ومفتين بارعين ، ودراسة القوانين الجديدة وأصول الحكم

---

١. الشيخ امتياز عالم القاسمي ، معاهد تدريب القضاء والإفتاء ومناهجها في الهند ، مؤسسة إيفا للطباعة والنشر (الهند) ، ١٦١ – ايف جوغا بائي ، ص. ب: ٩٧٤٦ ، جامعه نغر ، نيودلهي ، ٢٠١٤ ، ص ٩٠ .

الإسلامي والقضاء الشرعي بسائر محتوياته وملابساته . كما تدرس اللغة الإنجليزية كلغة حية ، يحتاج إليها العلماء والمتخصصون في الفقه الإسلامي ودراسة مناهج البحث وطريقة التحقيق وإلقاء المحاضرات العلمية من الخبراء والمتخصصين في العلوم الإسلامية والعلوم العصرية كما قرر تدريس المبادئ العامة للكمبيوتر في السنة الدراسية .[1]

**الخاتمة :**

لا شك في أن شخصية الشيخ القاضي كانت شخصية شاملة وعالمية حيث سافر إلى عدد من البلدان العربية والإسلامية بكونه الفقيه الكبير لعصره للمشاركة في المؤتمرات والندوات الفقهية . كما قام العلماء المعاصرون باعتراف القدرة الفائقة التي كان يمتاز بها الشيخ القاضي في الفقه الإسلامي وحساسيته الفطرية للقضايا الطارئة في المجتمع الإسلامي الهندي . إن كتاباته في الفقه الإسلامي نالت قبولاً واسعاً بين أصحاب العلم والمعرفة وخاصة بين الفقهاء والمفتيين الذين يهتمون بالقضاء الإسلامي ويشتغلون بإصدار الفتاوى في دور القضاء والإفتاء في الهند .

إن مجمع الفقه الإسلامي الهندي الذي هو فريد من نوعه في الهند-قام بخدمات جليلة في مجال الفقه الإسلامي وخاصة في حلول المشاكل الناجمة عن التغيرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والصناعية ، والتطورات الحديثة ، وفق الأطر الإسلامية اهتداء بالكتاب والسنة وآراء الصحابة وأقوال علماء السلف مع انعقاد الندوات الفقهية والدورات التدريبية .

إن المعهد العالي للتدريب في القضاء والإفتاء لعب ولا يزال يلعب دوراً فعالاً في تدريب وتربية العلماء الشباب لأمور القضاء والإفتاء في الهند ، منذ تأسيسه ، فقد قام المعهد العالي بتدريب وتخريج أكثر من ثلاث مأة مفت وقاض ، وهم يشتغلون اليوم بمختلف دور القضاء والإفتاء في شتى بلدان الهند .

---

١. الشيخ امتياز عالم القاسمي ، معاهد تدريب القضاء والإفتاء ومناهجها في الهند ، مؤسسة إيفا للطباعة والنشر (الهند) ، ١٦١ – ايف جوغا بائي ، ص. ب: ٩٧٤٦ ، جامعه نغر ، نيودلهي ، ٢٠١٤ ، ص ٩١ .

صور وأوضاع

# الإسلام والاشتراكية

الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي

إن تعارض الإسلام مع الفلسفة الاشتراكية يظهر جليا في ثورة الاشتراكية على الدين ، وإنكارها بوجود الخالق ، وتقديسها المادة ، وجعل الإنتاج محور العمل ، وتقييد حرية الفرد في الملكية والإنتاج ، والإنفاق ، ورفض القيم الخلقية ، واعتماد هذا النظام على الرقابة ، واتخاذ وسائل الكبت والعقوبات الاستبدادية .

يقوم الفكر الاشتراكي على أساس نظرية الصراع ، وفكّ النظام، وهو فكر ثوري ، تستمر فيه عملية قلب النظام القائم ، ويدور فكر زعماء الاشتراكية حول مواطن الضعف ، لاستغلالها من أجل قلب النظام ، فيؤدي هذا الفكر إلى الشحناء ، والبغض ، والحسد ، لمن هو أحسن منزلة ، وأفضل حالاً ، سواء كان في القوة ، أم كان في الاقتصاد ، ويصور من هو أفضل تصويراً موحشاً يبغضه عامة الناس ، ويشاهد هذا الاتجاه فيما يكتبه الاشتراكيون من الأدباء والشعراء ، وبيانات القادة السياسيين ، ويقوم على أساس السلب بدلاً من العطاء ، والكراهية بدلاً من الحب ، ويؤدي تطبيق الاشتراكية إلى صياغة المجتمع صياغة جديدة تنتقل السعادة فيه من الأفراد إلى طبقة تنسب إلى الحزب الاشتراكي ، ويخضع النشاط السلمي والصناعي والزراعي كله لتخطيط الدولة التي يمثلها أعضاء الحزب الاشتراكي ، وتنتهي فيه العلاقات القائمة بين الأفراد والأسر ، و ينتهي التفكير الفردي في مسائل الحياة ، ويخطط سياسة البلاد كبار أعضاء المكتب السياسي ، وهو نوع جديد من الاستبداد والدكتاتورية ، ولإيجاد هذا النظام الذي يفقد فيه الأفراد حريتهم ، ويسرى كل نظام من نظم الحياة السياسية والاجتماعية حسب سياسة مخططة تدور حول قطب واحد ، ويوجد نظام للمخابرات يتابع نشاط الفرد وفاعليته فيفرق بين المرء وزوجته .

لا يتصور في هذا المجتمع الذي شكله الفكر الاشتراكي رفع مستوى المعيشة لعدم إتاحة الفرص لنمو الكفاءات الشخصية ، ولأنه ينزل جميع الأفراد الذين يتمتعون بصلاحيات وإمكانيات متفاوتة إلى مستوى

واحد ، ويتنافى ذلك مع طبيعة الإنسان ، فقد فضل الله بعضاً على بعض ، ومنَّ الله تعالى بإكرامه وبتفضيله بعض الناس على بعض ، ولذلك فرض الله حقوق الفقراء على الأغنياء ، والضعفاء على الأقوياء ، وجعل نصيب الفقراء في فضل الأغنياء ، وبيَّن الأجر للإيثار ، والرحمة والعطف ، والإنفاق في سبيل الله ، وبهذا التصور المادي للاشتراكية وتسوية الجميع لا تتشكل الوشائج بين فرد وفرد ، وبين أفراد الأسرة ، فلا تتصور فيه الحقوق والمكارم من المناصرة والخدمة ، والبذل والعطاء ، والإيثار والرحمة ، ولأن كل فرد يستوي فيه ، ولا يحصل له إلا ما يسد به رمقه ، فتسقط الزكاة ، والصدقات ، والبر ، والتعاون على الخير لانتقال كل فائض إلى الحكومة ، كما يسقط الحج ، وأعمال الخير للعيش بالكفاف ، وملكية الدولة لكل مجال من مجالات العمل ، وكل مكسب من مكاسب الأفراد ، ويفقد الاندفاع في النفوس إلى الاستثمار ، وجمع الأموال ، والبحث عن مواقع الكسب ، فتنخفض نسبة الإنتاج ، فلا توجد الجمعيات الخيرية ، ولا يسمح بالسفر إلى الخارج ، ولا الحج ، ويقل عدد العازمين للحج من الدول الاشتراكية إلى حد مدهش .

يقوم المجتمع الاشتراكي على تصور مستقبل أفضل ، ولكن هذا المستقبل الأفضل لا يزال تصوراً رغم مرور ٧٠ سنة ، فإن البلد الذي جربت فيه هذه التجربة في عام ١٩١٧م لا يزال يعيش ليس في حرمان عن الكماليات، بل في حرمان عن البضائع الاستهلاكية ، بينما تعيش الطبقة الحاكمة حياة برجوازية ، فقد كان " برزنيف " يعيش حياة الملوك ، والأباطرة وكذلك كان سلفه يتمتع بسلطة مطلقة ، وكان المثل الآخر رئيسا " بلغاريا " و " رومانيا " اللذين أفادت التقارير الصحفية عنهما بغرائب نعيمهما الذي كانا يعيشان فيه وأعضاء أسرتهما ، رغم البؤس المنتشر في البلاد .

النقد أو التعبير الحر عن الرأي محظور في النظام الاشتراكي ، ويعيش كل فرد في ظلام عن العالم الخارجي ، ويتبع سياسة زعماء البلاد دون تفكير ، ويجب عليه أن يؤيدها كلياً ، وقد تبعت هذه السياسة الدول الإسلامية التي قبلت الفكرة الاشتراكية ، فإنها بعد التجربة الاشتراكية طبّقَتْ النظام الاستبدادي ، في السياسة ، والتأميم في الاقتصاد ، فحرمت كثيراً من إمكانياتها ووسائل ومواهب البلاد الطبيعية بالإضافة إلى عناء شعوبها ، وخداعها بالوعود والشعارات الزائفة ، وعمت السجون ، وكثر حصاد الرؤوس ، وأما المزارع والمصانع فهي في أسوأ حال من ماضي البلاد ، وتزداد

القيود على الشعوب ، وكانت الانتخابات في النظام الاشتراكي لعبة ، لأن المنافسة الحرة محظورة ، ومعارضة مرشحي الحزب الحاكم معرضة للخطر، ولا يقبل تعدد الأحزاب وتشكيل الأحزاب والجمعيات في هذا النظام و يجري انتخاب مرشحي الحزب الحاكم بلا مقابل ، وتكون النتيجة ٩٩ في المائة، بل أكثر، وانتخب عبد الناصر، وحافظ الأسد وأنور السادات، وهواري بومدين، وشاذلي بن جديد وزعماء اشتراكيون آخرون بهذا الطريق .

لقد فشلت الاشتراكية في تحقيق جميع أهدافها المعلن عنها كالحرية والمساواة ، والمستوى الأفضل للمعيشة ، ومكافحة الاستغلال ، والتقدم ، وأن الطبقة الكادحة التي تقوم من أجلها الاشتراكية ، تزداد شقاء وحرماناً في النظام الاشتراكي كما أثبتت التجارب في الاتحاد السوفيتي، ورومانيا ، وبلغاريا ، وألمانيا الشرقية .

أما المساواة فيوجد تفاوت بين أعضاء الحزب الاشتراكي وعامة أفراد الشعب ، وكان من أجل هذا الفشل رد الفعل العنيف الذي ثار في جميع الدول الاشتراكية ، التي ثارت على هذه الفلسفة ، والنظام ، وسقطت عدة حكومات مستبدة ، ويجري الآن كفاح لتغيير كل نظام يستند إلى الفكرة الاشتراكية ، وطالبت بعض هذه الدول بفرض الحظر على الشيوعية ومحو هذا اللفظ .[1]

إن الإسلام يحقق الأهداف الحسنة التي ترمي إليها الاشتراكية كالمساواة ، ومكافحة الاستغلال ، والاحتكار ، واستبداد الطبقات العليا وإزالة البؤس والشقاء ، وتوزيع الثروة بطريق إيجابي ، ولكل مجال من هذه المجالات تعليمات في الإسلام ، وعمل بها الحكام المسلمون وأغنياؤهم وقادتهم ، وشاعت هذه الطرق في فترات طويلة من التاريخ الإسلامي ، وقد بلغت الحضارة الإسلامية التي أزيلت فيها الفوارق والفواصل بين مختلف طبقات الإنسان ، وساد العدل الاجتماعي ،ذروتها في العهود الأولى في التاريخ الإسلامي ، وفي بعض العهود المتأخرة أيضاً ،حيث عاش الحاكم بكسب يده ، ونال الفقراء والضعفاء حقوقهم ، وعاشوا بكرامة ، ووردت بذلك تعليمات في القرآن والحديث ، وهي واضحة ، وأي تخلف وعدول عنها ، يرجع إلى من لم يلتزم بالتعاليم حق الالتزام ، والإسلام بريئ منه .

---

[1] معلوم أن نظام الاتحاد السوفياتي سقط منذ مدة غير قصيرة ، ولم يعد لها عين ولا أثر بعد ما تبنته روسيا إلى ٧٠ عاماً ، وفشلت روسيا في إبقاء ذلك النظام المشئوم .

## إلى رحمة الله تعالى :

### ( ١ ) فضيلة الشيخ المحدث عبد الحق الأعظمي في ذمة الله تعالى

استأثرت رحمة الله تعالى بفضيلة الشيخ عبد الحق الأعظمي ، شيخ الحديث بالجامعة الإسلامية دارالعلوم ديوبند في غرة ربيع الثاني ١٤٣٨هـ الموافق ٣١/ ديسمبر ٢٠١٦م بعد صلاة العشاء ، عن عمر يناهز ٩٢/ عاماً قضاها في خدمة الحديث الشريف والعلوم الإسلامية ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الشيخ الأعظمي رحمه الله من مديرية أعظم غراه بولاية أترابراديش الهند ،ورغم أن والده الشيخ محمد عمر كان قد توفي في صباه تولى تعليمه وتربيته أحد علماء مديرية جونفور الشيخ محمد مسلم،وبعد ما أتم الشيخ التعليم الجامعي مروراً بمدارس عديدة في مديرية أعظم غراه، أكمل حياته التعليمية في جامعة دارالعلوم ديوبند الإسلامية وتخرج منها في الحديث الشريف والعلوم الإسلامية ،وبعد فترة عُيّن أستاذاً للحديث والسنة النبوية في دارالعلوم ديوبند نفسها ،وظل على منصب الشيخ الثاني لتدريس البخاري والصحاح الستة إلى مدة نحو أربعين عاماً ، تخرج على يديه خلال ذلك آلاف من علماء الحديث ممن قاموا بخدمة العلوم الدينية في المدارس الإسلامية في الهند وخارجها.

كان الراحل الكريم من شيوخ الحديث والسنة مقبولاً بين تلاميذه وزملائه من أساتذة الجامعات والمدارس الإسلامية ، كما كانت له علاقة بدارالعلوم لندوة العلماء وعلمائها البارزين ، في آخر أيام حياته بعث وفداً من طلابه النجباء إلى زيارة دارالعلوم ندوة العلماء ، وكتب لهم رسالة توصية إلى المسئولين عنها وباسم هذا العاجز بوجه خاص ، وذلك في اليوم ٢٧/ من شهر ربيع الأول لعام ١٤٣٨هـ ، يعني قبل وفاته بأربعة أيام فقط .

وقد بعث رسالة تعزية عنه سماحة العلامة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء العام إلى مدير دارالعلوم ديوبند .

ونحن إذ نعزي جميع محبيه والمسئولين عن دارالعلوم ديوبند وأعضاء أسرته وأهله وتلاميذه ، نتضرع إلى الله تعالى أن يتغمده بواسع رحمته ويغفر له زلاته ، ويتقبل منه حسناته ويُسكنه فسيح جناته ، ويلهم الجميع الصبر والسلوة ، اللهم اجعله من عبادك المقبولين المخلصين .

### ( ٢ ) الدكتور محمد محسن شمسي إلى رحمة الله تعالى

انتقل إلى رحمة الله تعالى الدكتور محمد محسن شمسي أحد أعضاء المجلس التنفيذي لندوة العلماء والطبيب العصري البارع في ٩/ من شهر ربيع الأول لعام ١٤٣٨هـ الموافق ٩/ من ديسمبر ٢٠١٦م يوم الجمعة المبارك ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الدكتور شمسي من أصدقائنا ومحبينا ، وقد شارك في برامج الرابطة الإسلامية الدولية التي كان صديقنا المحب الشيخ السيد محمد الحسني – منشئ رئيس تحرير البعث الإسلامي – أنشأها وأنا العاجز معه في عام ١٩٥٩م، وذلك لنشر الدعوة والتوجيه الديني في مجتمعات الشباب المسلم ممن يدرسون في الجامعات والكليات العصرية في الهند، وتحقيقاً لهذا الغرض كنا قد أجمعنا على إصدار صحيفة باللغة العربية والأردوية ، فكان الدكتور شمسي مدير الصحيفة الأردوية ومعه جماعة من طلاب جامعة لكهنؤ الطبية (Lucknow Medical College)، وكنا مشغولين مع الجماعة بهذا العمل الدعوي المفيد الذي خلّف تأثيراً عميقاً في أوساط الطلاب الجامعيين .

ثم انتقل الدكتور شمسي كطبيب رسمي قررته الحكومة في كليات الجيش الطبية ومستشفياته في مختلف مدن الهند حيث أدى واجبه بغاية من النزاهة والاهتمام ، ذاك انه كان ذا صلة بسماحة أستاذنا وشيخنا العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله في الشئون التربوية والتزكوية .

كما كان مبايعاً على يد العلامة المحدث الجليل شيخ الحديث محمد زكريا الكاندهلوي رحمه الله تعالى ، فعاش عيشة صالحة ، ورغم ايام المرض كان يواظب على أداء صلاة الجمعة في جامع دارالعلوم لندوة العلماء ، ويزور العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي رئيس ندوة العلماء حيناً وآخر في مضيف دارالعلوم ، وكان ذا صلة مستمرة بالعمل الدعوي والخدمات الاجتماعية إلى آخر أيام حياته .

خلّف وراءه عائلة حافلة بالأنجال والأحفاد وجماعة من الأصدقاء .

تغمده الله تعالى بواسع رحمته وتقبل أعماله وخدماته ، وغفر له زلاته وأسكنه فسيح جناته ، وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان .

**( ٣ ) حرم فضيلة الشيخ أبي البقاء إلى رحمة الله تعالى**

انتقلت إلى رحمة الله تعالى حرم فضيلة الشيخ أبي البقاء الندوي ، نجل سعادة الشيخ المفتي محمد سعيد رحمه الله ( رئيس المفتين بدارالعلوم لندوة العلماء سابقاً ) ، وذلك في ١١/ من شهر ربيع الأول ١٤٣٨هـ الموافق ١١/ ١٢ / ٢٠١٦م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان هذا النبأ صدمة كبيرة لأسرة دارالعلوم ندوة العلماء ، ومبعث أسف كبير لجميع المحبين والأصدقاء ، ونحن إذ نعزي أخانا الفاضل الشيخ أبا البقاء الندوي ونشاركه في الحزن والأسى ، نبتهل إلى الله تعالى أن يتغمد الراحلة العزيزة بالرحمة ويتناولها بالمغفرة ويسكنها فسيح جناته ويلهم أهلها وذويها الصبر الجميل .